

نوال بنت عبد الله

مصدر هذه المادة:







بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

والصلاة والسلام على خير خلق الله ... على من اختاره ربنا واجتباه... وأحبه وارتضاه... وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه وبعد :

فإلى قرة العين.. ومهجة القلب.. إلى من تربطني بها رابطة الدين.. وتتوثق بيني وبينها عرى الإخاء المتين.

إليك أختي المسلمة أبعث رسالتي المتواضعة؛ علها تكون قبساً من نور يضيء لك الطريق.. وتكون نعم الرفيق.. إنها عبارة من نور يضيء لك الطريق... وتكون نعم الرفيق .. إنها عبارة عن مجموعة قصصية... والقصص جند من جنود الله يسخرها لمن يشاء من عباده؛ خاصة القصص ذات العظة والعبرة، فيكون لها الأثر الكبير في النفوس بإذن الله كما قال تعالى :﴿**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ .

والقصة أسلوبها شيق وجذاب؛ لاسيما إذا استخدمت في الدعوة إلى الله ... أسأل الله أن ينفع بها كل من قرأها وأن يجعل هذا العمل الصالح خالصًا لوجهه الكريم، ولا أنسى أن أزف باقة شكر وعرفان لكل من ساهم معي في جمع شتات هذه الوريقات، جعلها الله في موازين حسناتنا يوم نلقاه.

١- ذكرى

في حضن والدي عشت سعيدة... أحببت هذه الحياة.. طفولتي كانت مرحة .. أيامي كانت سعيدة .. لقيت منها الحب والعطف والحنان .. فأنا ثمرة صبرهما وانتظارهما فترة طويلة و لم يرزقها غيري .. أغدق علي والدي جم حبه .. حتى أحببته أكثر من أمي .. كنت أنتظره بفارغ الصبر حتى يعود من عمله .. أقف أمام الباب أحس الدفء والحبور بلقائه .. إن غاب حزنت وتألمت لغيابه..

أبي كان إنسانًا كريمًا .. محافظاً على طاعة ربه .. لقد غرس في نفسي حب الخير وحب الله ورسوله .. كان شديد الحرص على أن أراه يفعل الخير .. وأسمع منه عبارات الشكر والثناء لله سبحانه وتعالى .. كم شجعني على الأعمال الصالحة وأنا في سن مبكرة.. أراه كثير الصلاة.. كثير الصيام.. كثير الذكر له .. صوته عذب شجي مؤثر في القرآن الكريم.. بل كان يبكي.. وحين أراه هكذا ينتابني الخوف.. فأهرب إلى أمي مسرعة وجلة... أسألها وبكل براءة: لم يبكي والدي؟ من الذي أغضبه؟ فتجيبني أمي بأن أباك يخاف الله.. ويخاف عقابه وناره.. لذا فهو يبكي من خشية الله.. ارتاحت بعدها نفسي.. واطمأن قلبي.. لم أنس دعوات والدي لي : (اللهم فقهها في الدين وعلمها التأويل). كان يسعده أن أكون داعية إلى الله .. عالمة بأمور ديني .. حافظة كتاب الله.. ما أكثر القصص التي كان يحدثني بها عن الرسول ﷺ وعن الأنبياء... والصحابة...

سافر والدي ذات يوم.. وكان الفراغ قاسياً وأقسى منه غياب أب ... استأذنت أمي لأذهب لمكتبة التسجيلات التي بجوار منزلنا لأشتري شريط قرآن لأنه أشار علي بحفظ سورة كريمة لها فضل عظيم.. عدت إلى البيت مسرورة فقد حصلت على الشريط، إنه للشيخ عبد الله خياط.. بحماس شديد استمعت إلى الآيات.. حاولت حفظها ومع التكرار وبمساعدة أمي الحبيبة.. حفظت الآيات.. عاد والدي من السفر ومعه نفائس الكتب والجديد من الأشرطة والقيم من الهدايا... لم أمهله حتى يستريح من السفر .. زففت إليه بشرى حفظي لتلك السورة .. إنها سورة الملك.. طلب مني أن أتلوها عليه .. قرأتها عليه .. رأيته خاشعًا منصتًا.. وعندما وصلت عند قوله تعالى : ﴿**كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ**﴾ سقطت دمعات من مقلتيه.

حاول إخفاءها ولم يستطع .. تأثرت ببكائه فبكيت .. آه ما أروعها من أيام .. ولحظات لا تنسى؛ لقد علمني والدي الكثير والكثير من الأخلاق والآداب الإسلامية .. علمني كيف أعمل بإحسان، وكيف أن الله يراقبني ويجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته بل ويعفو ويصفح .. كان دائمًا يقول لي أن الدنيا فانية .. وأن زينتها وبهجتها زائلة .. نشأت في بيت يشع بنور الإيمان أسرة محافظة شعارها الكتاب والسنة.. سارت الأيام عجلى.. دخلت المدرسة.. أخذت انهل من معين العلم الصافي.. أحبني الجميع... معلماتي.. زميلاتي.. أقاربي.. سلسلة من النجاح والتفوق.. وحقًا الدنيا لا تصفو لأحد.. إنها دار الابتلاء والمحن والمنغصات..

ذات يوم .. وكان يوم الجمعة يومًا مشهودًا.. كان والدي إمام المصلين وخطيبهم.. انتهى من خطبته وشرع في الصلاة.. سجد سجدة وكانت الأخيرة لم يقم بعدها.. اهتزت أركان المسجد حزنًا على من أحب الله ورسوله.. بكت من كان داعية إلى الله بلسانه وقلمه ونفسه.. فجع المصلون بوفاة هذا الرجل الصالح الذي لا أزكيه على الله والله حسيبه..

كانت الصدمة قوية عليَّ وعلى والدتي .. لقد رحل الحبيب..

فارق هذه الحياة .. رحمه الله وغفر له.. تذكرت في تلك اللحظات حَثَّه لي على الصبر والاحتساب.. حضر الكثير لتعزيتنا في الفقيد الغالي.. تقبل خالي العزاء من الرجال؛ أما أنا فتقبلت العزاء من النساء.

وعندما رأيت كثرة النساء وتجمُّعَهن تذكرت والدي وهو يخطب بالناس ويدعوهم إلى الله.. تذكرته وهو واقف على المنبر.. كان كلامه مؤثرًا ينفذ إلى القلوب فيؤثر فيها .. استجمعت قواي واستعنت بالله.. وتحدثت أمامهن عن نهاية كل إنسان وعن موته وحياته .. عن نعيم الجنة وعذاب النار.. بعدها أخذت أتلو آيات من القرآن حتى بكين تأثرًا .. هذه أول مرة ألقي فيها كلمة أمام مثل هذا الجمع.. عاد بعدها المعزون إلى بيوتهم وبقيت أنا وأمي وخالي.. معنا عدة شهور.. وذات يوم مررت من الغرفة التي يوجد بها أمي وخالي.. سمعت ودون قصد.. الحوار الذي دار بينهما.

فكري يا أختي.. فما زلت في عز شبابك... وقد ترزقين منه

الذرية الصالحة... ومن الصعب أن تمكثـــي أنـــت وابنتـــك هنـــا بمفردكما .. وهو رجل صالح فيه خير كثير..

يا أخي عش معنا... لا أريد زوجًا... لا أريد بيتًا غير هذا لن يخرجك أحد من بيتك.. فعندما تتزوجين سيسكن معـــك أنـــت وابنتك هنا في هذا البيت.

لحظتها بكت أمي بحرقة.. تذكرت الماضي السعيد والحاضـــر المجهول .. إنها ترفض هذه الفكرة من أساسها فجرحها في فقـــدان أبي مازال طريًا ينزف.

أخذ خالي يلح عليها وأمي ترفض؛ مما أدى إلى غضبه فتركنا وسافر... مرت الأيام وكأنها سنين.. خيم علينا شـــبح الخـــوف والحزن والوحدة..

ذات يوم وأنا عائدة من المدرسة.. إذ بأشخاص عند أمي.. إنهم أخوالي .. جاؤوا ليضغطوا على أمي ويرغموها علـــى الـــزواج.. وفعلاً حدث كل ما توقعته.. وافقت مرغمة لكنها استمهلتهم كي تستعد.. كنت أبكي بحرقة أصبر نفسي وأواسيها.. أتجرع الغصص والآلام ولا أظهر لها ذلك.. لا أريد أن أحزنها.. ولا أريد أن أكون أنانية..

أتساءل: من هذا الذي سيحل مكان والدي الحبيب؟..

بعد لقاء أمي بأهلها ولشدة مـــا عانـــت منـــهم مرضـــت.. استدعيت لها الطبيبة.. أشارت عليَّ أن أهتم بها وبغذائها وأن تأخذ الدواء في مواعيده.. وطلبت مني أمرًا غريبًا .. فهي تعرف حالنـــا

وظروفنا التي نمر بها.. طلبت مني أن تبتعد أمي عن غرفتها فإن رفضت فيلزمني أن أغير ما بها أو أن تغير الغرفة.. وافقت الوالدة على أن تنتقل إلى غرفتي وحملت لها ما تحتاج إليه.. وفي زاوية من غرفتها وجدت شريطًا قديمًا لا أعلم ما به وما يحويه.. ولكن شكله قديم أثار فضولي.. قمت بتشغيله.. لقد فوجئت بما يحتويه الشريط.. إنه عبارة عن نصائح وكلمات من والدي..

يقولها لزهرة حياته وفلذة كبده وشمس يومه وربيع عمره ابنته.. إنه يوصيني.. كان عمري آنذاك سبع سنوات حسبما فهمت من والدي.. وبعد نقاش تلا آيات من الذكر الحكيم ثم أنشودة للصغار أنشدتُها لأمي ولأبي الذي (أحبه وأشتاق إليه وأسأل الله أن يجمعني به في مستقر رحمته) .. لست أدري ما الذي جعلني أرفع صوت والدي وهو يتلو آيات الله.. أخذت أجهش بالبكاء وأنا أستمع إليه.. إنه صوت الحق يعلو.. يملأ أرجاء المنزل.. كانت أمي تسترق السمع.. لقد نهضت من سريرها وهي متعبة.. مرهقة.. وصلت إليَّ وهي باكية.. صرخت .. ابنتي! لن أتزوج غير أبيك.. نعم لن أتزوج غيره.. مهما كانت النتيجة..

دخلت الجامعة.. كلية الشريعة.. نجحت وبتفوق بفضل من الله.. دائمًا كنت أتذكر دعاء أبي لي: (اللهم فقهها في الدين).

عاد أخوالي مرة أخرى إلينا ليُرْجِعوا لها الموضوع الأول: تزوجي؛ الرجل صالح.. وهو يريدك.. لن تجدي أفضل منه.. تزوجي فالناس يتكلمون.. ابنتك سوف تتركك وحيدة بعد أن

تتزوج.. ألقوا إليها بآخر وسيلة لديهم.. سنغضب عليك ونقاطعك إذا لم توافقي عليه.. أخيرًا أذعنت أمي لكلام إخوانها..

وأخيرًا جاء الزوج الذي كان يلبس ثوب الصلاح والكرم والجود وهو على خلاف ذلك.. حقيقة أقولها .. لا أدري كيف خدع به الجميع؟.. كيف يكون هذا الإنسان بديلاً عن والدي؟.. كيف سيحل محله؟.. لقد شربت أنا وأمي من إناء واحد حلو المذاق.. إنه حب وشهامة ووفاء والدي.. وها نحن ذا نتجرع كأس البؤس.. كأس يبتلي عباده.. فإما صبر وشكر وإما جحود وتراض.. ونحن والحمد لله رضينا بقضاء الله وقدره.

زوج والدتي كان قاسيًا في أوامره.. جارحًا في كلامه.. مؤذيًا في أعماله.. عصبيًا في تصرفاته.. يسمع الأغاني.. يخرج للسفر إلى الخارج.. لقد طغى وتكبر..

إننا نتأمل الخير والفرج مع إشراقة شمس كل يوم.. ندعو الله أن يصلح باله وينير بصيرته للحق.. ويهدي قلبه..

أمي حائرة لا تدري ماذا تفعل.. أصبرها وأصبر نفسي .. أذكرها بأن الدنيا فانية.. وأنا راحلون عنها.. وفي ليلة لا تنسى.. سهر زوج أمي أمام ما يسمي بالدش.. ذلك الفساد والدمار (بعد أن أدخله بيتنا) .. رافعًا صوته.. ذلك الصوت الصاخب المزعج.. .بمناظر مخزية فاضحة.. حاولت أن أسد أذني.. لم أستطع.. أخذت أستمع لصوت ذلك القارئ الشيخ عبد الله خياط أسترجع تلك الأيام الرائعة في ظل والدي يرحمه الله.. يوم اشتريت هذا الشريط

لأحفظ سورة الملك كما أشار علي أبي الحبيب.. رفعت الصوت.. حتى لا أسمع غيره.. قلت في نفسي لعل الله يهديه.. عندما سمع القرآن.. غضب.. ثار.. أقام الدنيا لهول المصيبة التي ارتكبتها.. كل ذلك لأنه سمع القرآن؛ لقد تحجر قلبه.. توجه مسرعًا إلى غرفتي.. فتح الباب ودون استئذان.. متهجمًا ليصفعني.. لم أبك.. لكنني تألمت.. خفضت صوت القرآن.. ذلك الصوت الذي كان يتردد صداه في منزلنا.. هتف هاتف أن توضئي.. وصلي لله ركعتين.. أما هو خرج من غرفتي ليكمل مشاهدته فرحًا مغتبطًا بما قام به.. وكأنه حقق انتصارًا عظيمًا.. لكن ما أغاظه وكدر صفوه هو أنه عندما رآني أخرج للوضوء ويعني ذلك أنني سأصلي.. استغرب! .. سأل نفسه لِمَ لم تبك؟.. لِمَ لم تحس؟.. لِمَ لم تتألم؟ .. من أين لها هذا الصبر؟.. ما هذه القوة التي تحملها فتاة في مثل سنها؟.. لِمَ هي أفضل مني؟ .. ترى أهذا من والدتها أم أنه من والدها؟.. ولكن حدث غريب حصل في تلك الليلة؛ وهو أن زوج أمي قام بإغلاق ذلك الفساد .. وذهب إلى فراشة مبكرًا على غير عادته.

مثل هذه الأحداث لم تؤثر على تحصيلي الدراسي.. فقد نجحت وبتفوق ولله الحمد.. لم يفرح لي أحد من أقاربي سوى أمي الحنون التي تعيش لإسعادي وطلب رضاي.. أما زوج أمي فقد زاد عتوه وجبروته... يدخل المنزل بصراخ.. ويخرج بسب وشتم .. أصبحت الحياة معه لا تطاق .. احتارت أمي معه.. تسأل الله إما هدايته أو فراقه..

ويقدر الله .. والقدر سر الله في خلقه .. أن يصيبه مرض يلزمه

الفــــراش.. فـــلا يســـتطيع الكـــلام ولا الحـــراك.. تكثـــر المكالمات..والاتصالات.. لكن لا جواب.. رجل عليـــل مـــريض بحاجة إلى صديق يواسيه.. أخ يسانده يقف بجانبـــه.. يحتـــاج إلى عطف.. حنان.. زملاء السهر تخلوا عنه؛ فهم لا يعرفـــون ســـوى المادة.. لم يزره أحد منهم.. جاء دوري.. وقفت معه في شـــدته.. أخذت أخفف عنه ألمه وأمسح عنه دمعاته.. أعطيتـــه الـــدواء في مواعيده.. لقد علمني والدي أن أدفع السيئة بالحسنة.. نسيت كل معاملته لي.. الوقت ليس لتصفية الحسابات.. ما مضى انقضى.. أنا أريد أن أكسبه.. فهذا مجال دعوة واحتساب أجر.. كان يـــرمقني بعينه ولا يستطيع تفسير سر اهتمامي به.. مرت الأيام.. كنت أعود من الجامعة.. أتوجه إليه مباشرة.. أسأل أمي عن أحواله.. أحيانًـــا كنت أراجع دروسي عنده.. الوالدة كانت متعبة؛ فهي تلازمه فترة غيابي وطوال الليل.. وذات يوم وأنا عنده.. إذ به يناديني بـــاسمي.. مد يده إلي.. فرحت عندما سمعت صـــوته.. اســـتدعيت أمـــي.. وأسرعت إليه.. أمسكت بيده.. ذرفت الدموع من عينيه.. وجَّـــه الكلام لي : سامحيني يا ابنتي.. اصفحي عن كل ما بدر مـــني .. لقد قسوت عليك كثيرًا.. يجهش بالبكاء.. أرجـــوك يـــا ابـــنتي سامحيني.. لقد كنت أفضل مني.

يا رب سامحني.. يا رب تب علي.. على تقصيري في حقك.. اللهم إني أعلنها توبة صادقة إليك.. أصابتني الدهشة والفرح وأنـــا أسمع كلامه.. لحظتها سجدت لله شكرًا.

قلت له: لقد عفوت عنك.. وأسأل الله أن يغفر لك ويتقبـــل

توبتك. تحسنت أحواله.. ومع مرور الأيام.. أشياء كثيرة تغيرت في حياتنا بعد أن تماثل زوج أمي للشفاء.. لقد عاد منزلنا كما كــان في عهد والدي يرحمه الله .. بين يشع بنور الإيمــان .. ويرتــل في أرجائه آيات القرآن.. ولله الفضل أولاً وأخيرًا.

٢- الرحيل

اقتربت مني مبادرة بإلقاء التحية.. مدت يدها قائلة: تفضلي، هذا شريط قيم عن بداية العام الجديد.. اسأل الله أن ينفعك به.

أخذته وكلي دهشة من موقفها الجذاب الذي ملــك وأســر لساني.. قررت أن أستمع للشريط وبمجرد وصــولي إلى المنــزل.. دارت رحى الأيام وأنا أمني نفسي بسماع ذلك الشريط.. ولكثرة انغماسي في الأمور التافهة غفلت عنه..

أخبرتنا الوالدة أن زفاف إحدى قريباتي في منتصف العــام وأن أختي ستضع مولودها الأول في عيد الفطر.. وسوف نسافر لقضاء صيف منعش في الإجازة.. حسبت الفارق الزمني بيني وبين تلــك الأحداث التي علمت موعدها فإذا هو بعيد في ورقة التقويم قريــب في الذهن والخاطر.. فكل يوم أتخيل فرحتي بتلك الأحداث، وكيف سأتقبلها.. لكنني كنت ساذجة.. نعم ساذجة؛ إذ أنني في كل يوم كنت أتولى تمزيق ورقة التاريخ الهجري في التقويم بفرح وشــغف وغفلة عن أنه من عمري..

استبشرت بقرب الموعد.. وفي لفيفي هــواجس وخــواطر..

وأفكار تراودني..ولكن سرعان ما أتلافاها.. أحاول الانشغال بأي شئ ريثما تمر الأيام.. كيف بابنة خالتي التي اقترب موعد زفافها.. إذ كنت أنا أشد شوقًا لذلك اليوم منها.. كنت أتحدث معها.. وكانت تجاذبني أطراف الحديث.. كانت حريصة على وقتها.. كثيرًا ما نصحتني بأن أستغل لحظات عمري فيما ينفعني.. حذرتني من ضياع الوقت فيما لا ينفع لكنني لم أهتم بكلامها..

وذات يوم وصلتني رسالة ومعها كتيبات إسلامية مكتوب في الرسالة: (من كمال إيمان العبد محاسبته لنفسه في كل حين.. واستغلال وقته؛ فالعمر يمضي والعمل يبقى.. ولا تنشغلي بالدنيا فعمار دار الآخرة أحرى وأولى). التوقيع : ناصحة.

قرأتها مرة .. مرتين.. محاولة معرفة الكاتبة؛ لكنني لم أعرفها.. همهمت في نفسي؛ أتكون هي؟ ربما هي.. كم حثتنا على ذلك... تركت الرسالة جنبًا لم أبال بها كثيراً.. فأنا مشغولة بالفستان الجديد الذي سأحضر به الزواج.. محتارة في نوعيه تسريحة شعري.. أريد أن أحظى بإعجاب الجميع.

مرت الأيام والساعات.. تم زفاف ابنة خالتي على خير وبركة.. وبعد فترة وجيزة من زواجها وصلنا نبأ سار عن ابنة خالتي.. وصديقة عمري .. من شاطرتني همومي.. إنها ستصبح أمًا بعد عدة شهور.. كدت أطير فرحًا عند سماعي لهذا الخبر.. اتصلت عليها لأهنئها بذلك.. وعدتني إن رزقت ببنية أن تسميها باسمي.. أخذت خالتي تحدثها عما ستفعله مع مولودها الأول وما ستقوم به.

حانت ساعة الوضع.. والخروج.. ولكن يا ترى من الخــارج حقيقة أهو المولود أم....

وضعت ابنة خالتي جنينها.. ضغطت بقوة على يد أمها الــتي كانت بجوارها.. أماه سامحيني.. الآن عرفــت حقــك أكثــر.. أرجوك.. ابني هو ابنك.. أَسْميه عمرًا.. وأحسني تربيته.. عوديــه على حب الله ورسوله.. وأشهد أن لا إلــه إلا الله .. وأشــهد أن محمدًا رسول الله.

أخذت الأم تصرخ.. فاطمة.. فاطمة.. يا طبيبة؛ أدركيني.. ما بها؟ ....

الطبيبة: لا حول ولا قوة إلا بالله على قضــاء الله وقــدره.. اصبري واحتسبي.. لقد فارقت الحياة..

في الصباح تقبل الأهل والأقارب التعازي في فقد عروســهم.. ودعوها بقلوب حزينة.. راضين بقضاء الله وقدره.

أما أنا فعندما وصلني نبأ وفاتها.. سَرَتْ رعشة في جســدي.. خوف رهيب.. أخذت أردد في ذهول.. غرفتها.. إنها هي.. لطالما حدثتني بذلك.. لقد كانت دائمًا تنصحني بوجــوب الاســتعداد للرحيل.. إنها هي كاتبة الرسالة.. نعم هي.. إي والله.. أفقت من غفلتي .. أخذت أبكي بحرقة على من كانت لي الأخت المشــفقة الناصحة.. بكيت على من وقفت معي دائمًا في جميع أمــوري.. كانت مقربة إلى نفسي..

وفي أثناء ذلك وقع بصري على الشريط الذي أهدتــه لي أول

السنة.. وكان بعنوان (كيف نستقبل عامًا جديدًا؟) يا لله.. من يصدق؟! عام كامل انقضى والأماني تراودني.. وأنا لم أستمع للشريط.. انشغلت بالتوافه من الأمور.. لقد أسرفت على نفسي كثيراً.

قلت لنفسي: كيف ستستقبل هي أول أيام الآخرة؟! ماذا لو كنت أنا مكانها وأنا في غفلة وفي لهو؟! رحمك الله يا فاطمة.. لطالما رددت على مسامعي: استعدي ليوم الرحيل.. وها أنت ذا قد سرت في قوافل الراحلين.

٣- الأمل المشرق

كدت أطير فرحًا عندما هاتفتني؛ فمنذ زمن بعيد لا أعلم عنها شيئًا.. أخذت أسألها عن أحوالها وأخبارها وكلي شوق لما تقول.. كانت الصدمة عندما شعرت بتغير في نبرة صوتها.. وبالغصة في حلقها وهي تقول: أخباري.. أخباري يا صديقتي لا تسر أحدًا.

سألتها: لماذا؟ ما الذي حدث؟

(وكأني بسؤالي هذا وضعت يدي على جرح كبير لم يلتئم بعد..) أخذت تسرد لي قصة معاناتها..

قالت : تم عقد قراني على أحد أقاربي.. أحضره أبي الذي لم نره ولم نسمع صوته منذ أن طلق أمي وأخرجنا معها في قارعة الطريق لا نملك شيئًا.. رأيت أبي أخيرًا عندما جاء بهذا العريس

ومعه مأذون الأنكحة والشهود.. ودون أن يستشيرني همس في أذني كلمة تهديد ووعيد.. إن لم توافقي عليه غضبت عليه وحرمتك من الميراث.. لم أجد بدًا من الموافقة مرغمة.. فمـا حصـل مـن أبي يكفي.. أتصدقين؟ حتى حقي الشرعي وهو مهري لم أر منه ريالاً واحدًا؛ لقد أخذه كله وأرسلني إلى بيت الزوجية هكذا بلا جهاز.. لقد كرهني زوجي بسبب هذه المعاملة القاسية من والدي.. أصبح يهينني ليل نهار.. بل ذكرني بما فعل أبي لي وعدم مبالاته لي في ليلة العمر.. سكنت مع أهل زوجي؛ لقد وجدت منـهم الـويلات؛ خاصة أخوات زوجي.. وجدت الذل والاحتقار.. مرت الشـهور وأنا أعاني المر منهم والأمرَّ منه.. أوطن نفسي على الصبر؛ لا أريد أن يكون مصيري كمصير أمي المطلقة.

وذات يوم جاء زوجي.. وكلمني بلطف على غير المعتاد..

ما رأيك لو تزورين أهلك؟.. أظن أنك اشتقت لهم؛ لم أصدق ما سمعته.. أكد لي صدق كلامه وأخرج التذاكر.. لقد حجـز لي فعلاً..كدت أطير فرحًا.. وجدت أن السعادة تفتح أبوابها لي بعـد ليالي القهر والحزن والألم.. أعددت حقيبة السفر.. طرت إلى أمـي وقلبي مفعم بالفرح والسرور فقد مر على زواجي أربعة أشهر وأنا لم أرها.. استقبلتني أمي بفرح غامر.. لم تصدق عينيها وهي تراني..

ودعني زوجي قائلاً: (سأحادثك بالهاتف في وقت لاحـق.. استغلي كل لحظة مع أمك وأخواتك.. لا تنسي ذلك). كانت هذه الكلمات آخر ما سمعته منه..

مرت الأيام .. والأسابيع .. زوجي لم يكلمني.. ماذا بـــه؟ .. هل حدث له مكروه؟ لقد قلقت عليه.. أمسكت سماعـــه الهـــاتف لأسأل عنه. ردت علي أخت زوجي.. (وحين عرفت صـــوتي).. صرخت في وجهي.. نعم .. ماذا تريدين..؟؟ أجبتها:

أريد أن أسأل عنكم وعن..

قاطعتني وبلهجة حادة.. اسمعيني جيدًا ..بصراحة زوجـــك لا يريدك.. ولا يريد أن يسمع صوتك.. والويل لـــك إن حاولـــت الاتصال على هذا البيت مرة أخرى.. ثم أغلقت السامعة..

لم أعِ ما سمعت.. لم أصدق كلامها..

ماذا حصل مني حتى يعاملوني هكذا؟.. أنا الصابرة على أذاهم .. المتحملة إهانتهم.. لماذا يفعلون معي كل هذا؟ أخـــذت أبكـــي بحرقة وألم.. رأيت أن الدنيا تغلق في وجهي من جديد.. دوامة من التفكير المستمر.. شعرت بالأرض تميد بي.. وفجأة سقطت من الهم والحزن.. سقطت مغمى علي.. لم أع بنفسي إلا والطبيبة أمامي.. وأمي بجواري قد اعتراها الخوف والحزن عليَّ.. وجهـــت الطبيبـــة الكلام لي: لا ترهقي نفسك.. واتركي التفكير جانبًا.. حـــافظي على صحتك حتى يسلم الجنين.

ذهلت.. ماذا؟.. هل أنا..؟!

نعم.. أهم شئ الغذاء الجيد والراحة التامة... عادت لي الأفكار من جديد.. كادت الهموم تعصف بي.. ما مصير هذا الجـــنين إن كتب الله له الحياة؟.. كيف سيكون وقع الخـــبر علـــى زوجـــي

وأهله؟.. هل سيفرحون به؟.. قطع حبل أفكاري صــوت أمــي الحنون: لا تقلقي يا ابنتي.. ييسر الله أمرك.. وكأنها عرفت ما يجول في خاطري.. بُنيتي.. ما رأيك لو تخبرين زوجك هذا النبأ السار.. لعله يحن عليك ويعود إلى رشده؟

فكرت في كلام أمي.. قد تكون محقة.. لمــاذا لا أجــرب؟.. وفعلاً أمسكت سماعة الهاتف.. اتصلت على زوجي في محل عمله.. رد علي.. سألت: أحمد موجود.

نعم .. أنا هو..

ألم تعرفني؟.. أنا زوجتك.. أنا هدى..

رد قائلاً: أنا لا أعرف أحدًا بهذا الاسم.

أرجوك اسمعني.. أنا حامــ...

لم يمهلني لأكمل كلامي.. فقال: اسمعي.. هذا المكان محترم؛ لا تتصلي عليه مرة أخري.. انسي أن لك زوجًا هنا.. مفهوم.. ويغلق سماعة الهاتف في وجهي.. احتضنتني أمي بعد أن أجهشت بالبكاء.. شعرت أنني سأنهار..

زادت آهاتي وآلامي وأنا أتجرع مأساة لا ذنب لي فيها.. مرت الشهور وكأنها دهور.. لم يفتني يوم إلا وأنا أبكــي بحرقــة وألم.. أتساءل ماذا جنيت؟ .. وما هي جريمتي؟.. صدقيني يا صــديقتي لم أفعل في حقهم شيئًا حتى يعاملوني هكذا؛ قد يكون ابتلاء.. نعــم ربما.. هكذا كنت أناجي نفسي على الــدوام.. لقــد كرهــت

زوجي.. كرهت الذي في أحشائي بسببه.. كان والدي لا يريد أن يتدخل في أي أمر يخصني.. وهو الذي أوقعني بهذا الإنسان اللامسؤول.. أخي صغير وليس لي قريب أحمله مشكلاتي.. الكل من حولي تخلى عني.. وليتني سلمت من ألسنتهم.. أخذوا يوجهون أصابع الاتهام لي.. وأنني أستحق كل ما أصابني.. وصلت الشهر الأخير..

ومن في مثل حالتي تستعد لحمل لقب أم.. أما أنا فتمنيت لو يقبضني الله إليه.. لقد زاد من أحزاني وهمومي حال أمي المسكينة التي تجرعت الكثير والكثير من أبي سامحه الله.. وها هي الآن تتألم لآلامي..

جاءت اللحظة الحاسمة.. سمعت صرخاتها تملأ المكان.. إنه صوت ابنتي الصغيرة.. لا أدري.. شعور غريب انتابني تلك اللحظات بعد أن حملتها بين يدي.. أخذت أبكي.. ولا أحد يعلم ما بي.. خشيت أن ينتزعها أحد مني.. لقد انقلب كرهي لها إلى حب لا أستطيع وصفه.. وقيامًا بالواجب اتصلت أمي بأهل زوجي لتخبرهم بولادتي لعلهم يتغيرون؛ لكنهم لم يبالوا؛ وكأن الأمر لا يعنيهم..

حينها نظرت إلى صغيرتي.. تأملتها جيدًا وقلت لأمي: لقد قررت أن أسميها أمل.. نعم أمل؛ لا أريد أن يدخل اليأس في قلبي.. فلا يأس مع الحياة.. ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.. لقد رأيت في عيني ابنتي الأمل المشرق... والمستقبل المضيء..

يكفيني احتساب الأجر في تربيتها؛ فكل شئ بأجره.. سأربيها تربية حسنة...سأنشئها على الأخلاق القويمة.. هذا إن كتب الله لي حياة لا أريدها أن تتجرع من الكأس المر الذي شربته أنا وأمي.. لابــد من التفاؤل.. نعم .. كم سنمكث في هذه الحياة.. ثم يأتي الحساب والجزاء.. أما زوجي وأهله فإني أوكل أمرهم إلى الله.. أسأل الله أن يأخذ حقي منهم آجلاً أم عاجلاً..

كانت أمي تسمع كلامي هذا وتؤيدني عليه... كم حثتني على الصبر.. كم ذكرتني ما للصابرين من الأجر.. كم خففــت عــني أحزاني وآلامي وهي نفسها من تحتاج إلى ذلك.. جزاك الله خيرًا يا أمي وعوضك عن صبرك خيرًا.

أما موقفي من زوجي وأهله فقد أعلنتها قوية مدوية.. أمي! لا أريده.. كفاني ما تجرعته من ذل وهــوان.. أمــي! لا أريــد إلا الطلاق.. نعم الطلاق..

لجأت وحدي إلى المكان الذي لم أكن أريد اللجــوء إليــه... لجأت إلى المحكمة.. ارفع قضيتي وأشكو كرامتي الــتي هــدرت.. أشكو مأساة تجرعتها لا أدري ما جريرتي بها.. كتبت معانــاتي إلى القاضي لعله ينظر في أمري.. حصلت بيننا جلسات وجلســات.. وبعد أن أخذوا مني راحتي واستقراري وهدوئي.. رمى علي كلمة الطلاق التي كنت أكرهها.. نعم أصبحت مطلقة لكن بقيت لي قرة عيني ومهجة قلبي وسعادة نفسي.. بقيت لي الحبيبة أمل.. والحمــد لله على كل حال....

٤- رسالة مؤلمة

نظرت إليها.. تأملتها جيدًا.. لقد أعدت قراءتها أكثر من مرة.. أدهشني ما تحمله بين طياتها.. إنها رسالة كتبت بمداد الآهات والأحزان... حبرها الدموع.. وعبراتها سكبت من جوف محترق مكلوم... رسالة فتاة تجرعت الشدة والقسوة والإهانة من أرقب الناس لها.. تجرعت الويلات من والدها رمز العطف والحنان.. وعجبًا حين تتحول العاطفة الأبوية إلى جمر يتلظى.. عجبًا حينما يتحول الحنان والحب النابعان من قلب الوالدين إلى كره وحقد.. ولأجل ماذا.. لأجل نزوات وشهوات وأهواء.. إنني أتحدث عن أب تحطمت فيه جميع معاني الأبوة والعطف.. رجل تأثر ببريق الغرب الخادع فانجرف خلف تياراتهم واغتر بهم وبعاداتهم.. لم يأخذ من تعاليم الإسلام إلا اسمه.. حتى بناته لم يسلمن من أفكاره الهدامة.. أخذ يعلمهن لبس القصير والخليع.. علمهن كيف يجلسن ويمازحن زملاءه في العمل عندما يزورونه في البيت على الرغم من أنه ابن مجتمع يمنع هذه العادات؛ لكنه رمى بتعاليم دينه ومجتمعه خلف ظهره.. وانساق وراء نزواته.. إنه كلام ابنته التي أرسلت برسالتها المؤلمة... ابنته التي أنقذها الله مما كانت عليه من ضلال وغواية.. فقد تأثرت بصحبة طيبة في المدرسة.. لقد اكتشفت بطلان أفكار والدها.

سمعتْ عن آباء يحرصون على تربية أبنائهم تربية ضالة مستقيمة أما والدها فعلى العكس تماماً.. يدفع بأبنائه إلى الهاوية.. يدفع ببناته إلى الخزي والعار ولا يبالي.. حينها بكت حرقة وأسى من تصرفات

قدوها... تذكرت كل درس كان يلقنها والدها إياه.. تذكرت أنه كان يصف الحجاب بالتخلف والكبت.. تذكرتْ أنه لم يــأمرهن مرة واحدة بالصلاة؛ لأنه لم يكن أصلاً يؤديها.. تذكرت عنــدما كان يحثهم على الاختلاط بأولاد أعمامها وكيف تكون جريئة في مخاطبة الرجال دون وازع من دين أو حياء.. تذكرتْ ذلك كلــه وقررت بكل عزم أن تصحح هذه الأخطاء التي جنتها يدا أبيها في تربيتهن.. ولعل الله أن يهديه إلى الصواب.. بدأت بنفسها والتزمت الحجاب.. أخذت تحافظ على الصلاة.. وأخذت تنصح أخواهــا وتوجههن إلى الحق.. وعندما علم الأب بذلك جن جنونه.. أخــذ يعارض ابنته بل ويحاربها في جميع تصرفاها.. لكنها ثبتــت ثبــات الجبال الراسيات.. أخذ والدها يستخدم معهــا جميــع الوســائل التعذيبية حتى تعود إلى رشدها (كما يزعم).. حاول أن يثنيها عن تصرفاها.. ولكنه الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب فإنه يأبى غيره.. أخذ يهددها تارة.. ويضربها تارة أخــري.. ويهجرهــا مــرات عديدة.. منعها من الذهاب إلى المدرسة أو حتى مجالسة أخواهــا.. لأها وكما يقول: لم تعد منهم.. فاعتزلتهم.. أصــبحت حبيســة غرفتها وكتاب الله أنيسها وسنة رسول الله ﷺ جليسها.. تنــاجي مولاها أن يهدي والدها وأهلها أجمعين.. ولكن ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾.. فعندما رأى والدها رباطة جأشها وثباها وصبرها لم يجد سوى حل واحد.. استدعاها.. مثلت أمامــه غاضــة الطــرف.. غضيضة الصوت.. فألقى إليها بآخر وسيلة لديه.. إذا لم تعــودي كما كنت وكحال أخوتك وتتركي عنــك الوســاوس (يقصــد

التمسك بأوامر الله).. فسوف أطلق أمك.. نعم أطلق أمك.. نزلت هذه الكلمات كالصاعقة على رأسها الصغير.. سقطت بين يـــدي أبيها باكية.. كالطفلة التائهة التي تبحث عن جرعة حنان أو عطف أو حتى شفقة.. تنظر إلى والدها وعيناها ملأى بالدموع.. قلبـــها يتفطر حزنًا وألماً من موقف أبيها العدائي.. واجتمعت عليها همـــوم كثيرة.. ها هي والدها تتوسل إليها أن تنفذ كل ما يطلبـــه منـــها والدها.. أخذت تتضرع لها أن لا تهدم بيتـــها ولا تفرقهـــا عـــن أبنائها.. أخواتها من جانب ثالث يهددنها ويتوعدنها.. فهذه تصفها بالتخلف والرجعية والأخرى تحملها المسؤولية كاملـــة إذا حـــدث للبيت شئ، قامت من مجلسها ذاك وقد أنهكهـــا الهـــم والحـــزن.. وتجمعت عليها الآلام من كل حدب وصوب.. رمقـــت الجميـــع بنظرة الأسى لحالهم وتصرفاتهم.. عادت إلى غرفتها وهـــي تفكـــر وفيما طرحه عليها والدها.. شعرت أن أنحاء الغرفة تكاد تخنقهـــا.. جميع المنافذ تغلق في وجهها.. لا يريد أحد أن يقف معها.. لا أحد يفهمها.. أمها لا ترحمها.. أخواتها يصفنها بالعقوق.. والدها يصب عليها جم حقده وغضبه.. حينها ســـكبت دمـــوع القهـــر والألم والحزن.. ماذا تفعل؟ .. أتنزع الحجاب لترضيهم؟ أتترك الصلاة قرة عينها وسلوتها في وحدتها حتى لا تطلق أمها؟ ماذا تفعل؟ تـــذكرت لحظتها أن هناك منفذًا لم يسد.. وبابًا لم يغلق.. اتجهت إلى خالقها تناجيه.. وتشكو إليه همومها وما حل بها بسبب تمسكها بدينـــها.. لقد أصبح ليلها نهارًا .. أصبحت تبكي في كل اللحظات.. فالموعد الذي حدده والدها لقراره الغريب يقترب وفجأة يطرق لها الفـــرج

أبوابه.. لقد جاء اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة.. لقــد دق بابهم خاطب لها.. ذو خلق ودين.. وكأن الله أرسله لها لينقذها مما هي عليه.. أما موقف والدها فقد أراد أن يتخلص من ابنته هــذه بأي وسيلة؛ فقد كرهها.. كرهها لأنها تقول ربي الله.. فوافق دون تردد على هذا العريس؛ حتى إنه لم يهتم بالمهر أو إقامة زواج لها بل أرسلها بثيابها.. ذهبت إلى بيت الزوجية.. عاشت بعد ذلك مع هذا الرجل الفاضل الصالح تعبد الله وتطيعه؛ فقد كان يعينها على طاعة الله ويحثها على التقوى والصلاح.. أما أهلها فهجروها بعد زواجها و لم يسألوا عنها ولو مرة واحدة..

٥- الطبق

لم تستطع إغماض عينيها تلك الليلة .. إنها تتذكر ذلك الحوار الذي دار بينها وبين أبنائها اليوم.

قد يكون كلام خالد صحيحًا

الكل يريد ذلك الطبق إلا أنا ...

أغلب الناس أدخلوه في منازلهم.. أيكون كل هؤلاء على خطأ وأنا على صواب؟!

استغل الشيطان فرصته.. لم تستطع النوم وهي تفكر في إلحاح أبنائها عليها..

قد أكون على خطأ؛ فلو كنت على صواب لأصـاب معـي

جارنا أبو أحمد.. إنه رجل محافظ على صلاة الجماعة، ومع ذلـــك أدخله ليشاهد الأخبار فقط...

نعم.. سأفعل مثله.. سأرضي أبنائي وسأدخله؛ لكن بشرط أن لا يروا إلا الأخبار والبرامج الدينية.

تنبهتْ من حوارها مع نفسها على صوت المؤذن... الله أكبر.. الله أكبر.. إنه

بداية يوم جديد..

قامت من سريرها.. توضأت وصلت الفجر.. ألقت نظرة من النافذة خيوط الشمس الذهبية تداعب خصلات شعرها الأبيض..

أخذت تتأمل بيوت الحي.. وتمعن النظر في صحون الاستقبال.. وكأنها مرة تراها.. إنها في حيرة من أمرها.. اليوم سيشتري خالـــد الدش.. آه.. رحمك الله يا أبا خالد... لو كنت حيًا لما حدث كل هذا.. هل كنت سترشى بدخوله المنزل.. لقد حان موعد استيقاظ الأولاد.. خرجت من غرفتها وتوجهت إلى غرفهم..

خرج خالد وهو بكامل أناقته..

خالد.. هل ستذهب إلى الجامعة؟ لا زال الوقت مبكرًا.. أمي.. هل نسيت أن اليوم عطلة؟ أنا ذاهب لشراء الطبق.. إلى اللقاء..

لم تجتمع الأسرة في غرفة واحدة منذ وفاة أبي خالد .. أما اليوم فهم يتسابقون إلى غرفة الجلوس.

الجميع مسرورون.. الأبصار مشدودة إلى ذلك الجهاز.. أمـــا

هي فوجهها مكفهر.. إنها كئيبة.. حزينة.. تفكر في حالها وحـــال أبنائها.

وجَّه خالد الكلام إلى أمه..

أمي.. سبحان الله .. إن هذا الطبق يجعلك تتفكرين في قـــدرة الخالق.. كيف خلق هذا العقل الذي ابتكر هذا الجهاز؟ إنه ينقل لنا ما في الغرب والشرق ونحن في بيوتنا وأماكننا.

أما هي فقد كانت تفكر في كلام أبي خالد ورفضه الشديد في إدخال مثل هذه الأجهزة إلى بيته ... لم تنس حرصه على تقـــويم سلوكيات وأخلاق أبنائه.. دائمًا كان يقول: إن هؤلاء الأبناء أمانة عظيمة في أعناقنا.. وسنسأل عنهم يوم القيامة..

يقطع تفكيرها ابنها الصغير سعيد..

أمي.. نحن جائعون..

قالت: سوف أذهب لإحضار العشاء لكـــم.. توجهـــت إلى المطبخ.. استغل سعيد الفرصة..

خالد! يجب أن تضع البرامج الدينية كي تقتنع أمـــي بالـــدش وتكف عن مراقبتنا..

خالد.. نعم.. إنك محق..

سعاد... أوه.. أرجو أن لا يطول ذلك..

جاءت الأم وهي تحمل الطعام.. تحلق الجميع حول المائـــدة.. قال سعيد: أمي.. لا حاجة بعد اليوم للأشرطة.. ما عليـــك إلا أن

تفتحي الدش وتري وتسمعي ما تريدين.

قالت الأم: جيد.. ثم استأنفت قائلة: أنا متعبة؛ سوف أذهب لأنام.

لم يستطيعوا إخفاء فرحتهم.. قالت سعاد: نعم يا أمي.. يبدو عليك الإرهاق.. خذي راحتك وسوف أتكفل بكل شيء بعد الانتهاء من الطعام..

تصبحون على خير..

الجميع: تصبحين على خير..

وكالعادة في النهار.. البيت خال.. الكل في المدارس والجامعات.. لا يوجد إلا هي في البيت وأمامها هذا الطبق..

حاولت أن تشغل وقتها؛ ولكن دون جدوى؛ فالوقت طويل.. بدأت تحدثها نفسها لتفتح التلفاز..

لا.. لا.. ولكني أحس بالملل ولا يوجد ما يشغل وقت فراغي..

كلا.. سوف أتصل على أم أحمد.. فمنذ زمن بعيد لم تزرني؛ لعلها تأتي اليوم لزيارتي..

جرس الهاتف يرن في بيت أم أحمد ..

أم أحمد.. أوه.. من يتصل في هذا الوقت..

نعم..

أهلاً.. أم أحمد.. أم خالد تتحدث..

مرحباً.. أم خالد.. كيف حاله؟! ما هي أخبارك؟..

اعذريني يا أم خالد؛ فأنا مشغولة الآن.. أريد أن أتابع مسلسل الصباح.. سأتصل عليك عندما ينتهي.

أم خالد.. حسنًا ولكن ما رقم القناة؟!..

أم أحمد .. مبروك.. هل أدخلتم الدش؟

أم خالد.. نعم .. قبل أسبوع..

أم أحمد.. إنها القناة الرابعة..

أم خالد.. شكراً.. إلى اللقاء..

إلى اللقاء..

فتحت التلفاز على القناة الرابعة.. وأخذت تتابع المسلسل وعندما انتهى أخذت تحرك القنوات.. رائع لم أتصور أن يكون الدش بهذه الصورة..

كم كنت معقدة عندما رفضت إدخاله..

حان موعد مجيء الأولاد..

جرس الباب يرن.. إنها سعاد..

فتحت الأم بسرعة.. ثم توجهت إلى غرفة الجلوس..

تعجبت سعاد وهي تراقب والدتها من بعيد.. لا أصدق ما أرى..

الأم.. سعاد.. تعالي بسرعة.. هناك برنامج مسابقات.. انه ممتع..

وبعد مرور الأيام.. بدأت الأم تستلم .. حاولت أن تجاهد نفسها والشيطان.. لكن الشيطان كان لها بالمرصاد.. إنه يزين لها المعصية.. فما أن تضغط أحد الأزرار.. حتى يخترق مسامعها الكثير من الأغاني الماجنة.. ويمر أمام ناظريها العديد من المشاهد المقززة.. حتى ألفتها وأصبحت شغلها الشاغل.

كان خالد يتابع تصرفات أمه بتعجب.. أحس بغلطته.. كيف استسلمت بهذه السرعة وهي التي كانت توجههم وتنصحهم؟ كانت ترفض الرذيلة وتحاربها.. كان ضميره يؤنبه ولكنه يتجاهل ذلك مقابل متعة نفسه..

مرت فترة من الزمن وهم على هذه الحال.. وفي يوم من الأيام..

تخرج الأم من غرفتها بكامل زينتها.. مكياج.. ملابس ضيقة ومفتوحة.. رائحة العطر الباريسي تفوح في كل مكان.. العباءة مزركشة وقد وضعتها على كتفها.. وهي من عرفت بالستر والحشمة والعفاف..

قالت.. هيا يا خالد.. هيا بنا لقد تأخرت على موعدي.. قال خالد باستغراب.. ولكن إلى أين؟

الأم.. إلى محل الكوافير.. أريد أن أصبغ شعري باللون الأشقر.. فعندي الليلة سهرة..

زاغت عينا سعيد.. وفتحت سعاد فاها.. أمـــا خالـــد فقـــد قال..رحمك الله يا أبا خالد.. لو كنت هنا لما حدث كل هذا..

٦- البلاء

جلست مع نفسي مرة أسترجع أحداثًا مضت.. ومواقف مؤلمة انقضت.. جال في خاطري صورة تلك البائسة الحزينة.. عجبـــت من ثباتها وصبرها على الرغم من توالي المحن والبلايا عليها.. كنت عندها ذات يوم.. أتناول القهوة.. وأتجاذب معها أطراف الحديث.. رن جرس الهاتف.. رفعت السماعة.. أدهشتني عندما رأيتها تبكي بعد أن أغلقت سماعة الهاتف.. بادرتها سائلة.. خير إن شاء الله يا أم فهد.. ماذا حدث؟!

أجابتني والحزن يعلو محياها.. أخي..

قلت لها: ماذا به؟

قالت: لقد أغمي عليه وأخذوه إلى المستشفى.. وبعد إجـــراء عمليات التصوير والأشعة اكتشفوا أنه مصاب بـــالمرض الخبيـــث (السرطان) .. ثم سكتت..

رددت .. إنا لله وإنا إليه راجعون.. الحمد لله على كل حال.. حينها ساقتني الذكريات إلى حالها قبل عدة أعوام عنـــدما أصـــيب خالها بنفس المرض وتوفاه الله.. فقد كانت تعده بمثابة والدها المتوفى منذ زمن بعيد؛ فقد كان يسأل عن أحوالها ويراعي شؤونه..

وما أن أفاقت من هذه الصدمة.. حتى فوجئت بولدها الوحيد.. يصاب بنفس المرض.. مكث ولدها مدة في المستشفى وهو يتعالج ولكن دون جدوى فقرر والده أن يسافر به للخارج اعتقادًا منه أن العلاج هناك أفضل.. كانت تتمنى أن ترافق ابنها وأن تكون بجواره.. لتطمئن عليه وتراعي شؤونه.. فأصبح قلبها معلقًا هناك عند قرة عينها حيث يرقد على السرير الأبيض.. لا تدري ما مصيره.. ولكنها فوضت أمره إلى الله..

بعد شهر من العلاج المتواصل.. أحس الأب بوعكة صحية.. وبعد الفحوصات المكثفة.. اكتشفت الأطباء أنه يحمل نفس المرض (سرطان الدم) .. فكانت الصاعقة.. رجع الأب قافلاً إلى بلاده وترك ولده مع خاله..

مكث الأب مدة يسيرة وهو يعاني وطأة هذا المرض.. مرت الأيام على هذه الأسرة .. ثقيلة.. كئيبة.. وفجأة يفارق الزوج هذه الحياة.. لقد تجرعت المآسي والآلام والحرقة.. حرقة على زوجها الراحل.. وحرقة على فلذة كبدها الذي لا تعلم عنه شيئاً.. وحدة..وغربة.. وألم..

شعور غريب ينتابها.. تحس أن ابنها سيلحق بالركب.. لكنها تمني نفسها.. لم تفقد الأمل لعل الله يعوضها في زوجها وخالها خيرًا.

وبعد مرور ستة أشهر من وفاة زوجها يأتيها الخبر من أمريكا.. إنه صوت أخيها.. صوت ضعيف..كئيب.. فلانة.. الحمد لله على

كل حال.. لقد استرد الله وديعته.. اصبري واحتسبي.. لقد توفي..

لم تمهله ليكمل كلامه فقد سقطت مغشيًا عليها.. حاولت أن تتمالك نفسها.. أن تتجلد.. أن تصبر.. تذكرت أن المؤمن يبتلى.. والدنيا دار بلاء..

رددت: اللهم إني أحتسبهم جميعًا عندك.. اللــهم أجـــرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها.. إنا لله وإنا إليه راجعون.. اللـــهم اجمعني بهم جميعًا في جنات النعيم..

توقعت أن يحدث لها شئ.. لكنه قلب المؤمن الصابر المســلِّم لقضاء الله وقدره.. والحمد لله الذي ربط على قلبها..

والآن أتخوف عليها.. فحال أخيها لا تبشر بخير.. لقد دعوت الله أن يمن عليه بالشفاء العاجل.. فلم يبق لها أحد من أهلها سواه.. سألت الله أن يبقيه لها ليؤنس وحدها.. ويزيل وحشة نفسها..

تنبهت من هذه الذكرى المؤلمة على صوت أمي مناديًا..

أسرعت إليها ملبية..

نعم يا أمي..

بنية.. تجهزي.. سنذهب إلى أم فهد..

لماذا يا أمي؟ خيرًا إن شاء الله..

سنعزيها في أخيها؛ فقد توفي بالأمس.

لحظتها سقطت دمعات من مقلتي.. تذكرت قول الرسول ﷺ:

«إن أعظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط».

وكما في الحديث القدسي: «**وما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة**». رواه البخاري.

وقفة :

المؤمن في هذه الدنيا يبتلى فيرى الله صبره؛ (وإنما الصبر عند الصدمة الأولى) ... المؤمن الحق هو من يعتصم بالصبر إذا دجى الخطب وجل المصاب واستحكمت الأزمات.. فيثبت ويتجلد ويصبر.. إن الإيمان الراسخ في القلب الثابت يتضح في أوقات الشدائد وساعات المحن والضيق.. ﴿**الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾

وما من شدة إلا ويعقبه فرج... وما من عسر إلا ويلحقه يسر؛ ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾

تصبر إن عقبى الصبر خير ... ولا تجزع لنائبة تنوب
فإن اليسر بعد العسر يأتي ... وعند الضيق تنكشف الكروب
وكم جزعت نفوس من ... أتى من دونها فرج قريب

٧- ضحايا الفراغ

إنها في ملل.. في حزن ..في سأم دائم.. لجأت إلى مجلة (...) الماجنة.. قلبت صفحاتها .. قرأتها بشغف.. انتهت منها.. ألقت بها جانبًا .. استنجدت بالأفلام والمسلسلات لكن الملل يزيد في حياتها.. والضيق يكبر في صدرها.. تبحث من جديد.. عن وسيلة للترفيه أو حل لهذا الضيق.. آه.. الأسواق.. ركبت مع السائق.. لجأت إليها لعل الاكتئاب يزول.. ولكن دون فائدة.. ماذا تفعل.. إلى ماذا تلجأ؟؟ لقد سأمت حياتها.. ملت كل شئ.. أوحى إليها الشيطان بفكرة.. توجهت مسرعة إلى جهاز الهاتف.. ضغطت أزراره.. ظهر لها من سيملأ فراغها وينسيها همومها وأحزانها وتبني معه قصورًا من أحلام وردية؛ (كما تتوهم).

تستمر المكالمات الهاتفية ساعات طويلة.. وفي ظلمة الليل أثناء اختفاء الرقيب البشرى.. فوالدها في سباتهم العميق.. وإخوتها كل واحد في غرفته.. فمن يراها؟ .. من يعلم بحالها؟؟ نسيت من لا تنام عينه.. نسيت الرقيب الأعلى.. غفلت عن أن الله سبحانه وتعالى يراقبها ويعلم بحالها.. نسيت قدرة الله في أن يكشف أمرها ويهتك سترها ويفضحها بين الأنام.. لكنها لا تبالي بذلك كله ولا تهتم.. تستمر العلاقة.. بل وتزداد بينهما حتى تصل إلى مقابلات.. كل ذلك والأهل في غفلة.. وهكذا إلى أن انتهى بها الأمر إلى فضيحة.. خزي.. عار.. وما تدري المسكينة أنها قتلت نفسها بنفسها.. ولو أنها اتجهت إلى مولاها كاشف الهم والكرب تدعوه أن يعينها وأن

يفرج كربها.. ولو أنها أقبلت على ربها بالطاعة والدعاء والأعمال الصالحة واستغلت وقتها فيما ينفعها وما انساقت لهواها ونفسها الأمارة بالسوء لما حدث كل هذا.

وقفة :

يا من سلكت هذا الطريق الوعر (طريق المعاكسات) والعلاقات الغير شرعية.. الحذر من الاستمرار فيه؛ فإن نهايته مرة؛ نهايته دمار.. خزي وعار..

اعتبري بغيرك ممن وقعن في هذا المنزلق الخطير فما سلمن.. وعليك بمحاسبة نفسك على الدوام.. تفكري في عظمة الله وكيف تستجرئين على مبارزته بالمعاصي بنعمه وفي أرضه؟ ألا تخافين أن يعجل عليك بسخطه وعاقبه؟

تذكري الموت.. وأنه قد يباغتك في أي لحظة.. تذكري الحساب والجنة.. والنار.. ولا تكوني ضحية سهلة للفراغ.. واحرصي على أن تشغلي وقتك بما ينفعك في الدنيا والآخرة.. ابدئي صفحة جديدة مع ربك؛ فإنه غفور حليم تواب رحيم..

٨- طريق الشيطان

ذات يوم وفي نهاية شهر رمضان المبارك.. إذ فتاة ممن لعب الشيطان بعقلها.. وانساقت لهواها.. وغفلت عن مراقبة الله لها..

وقد نصحها الكثير.. لكنها تعرض ولا تستجيب.. إذ بها تتصل عليَّ هاتفيًا.. استقبلت مكالمتها .. نعم.. خيرًا إن شاء الله..

سأخبرك يا (....) بأمر ولكن بشرط.. لا أريد نصائح ولا توجيهات..

قلت لها: إذا ماذا تريدين؟

أريد أن أخبرك بما يجول في خاطري فقط.

قلت لها برحابة صدر.. هات ما عندك.. كلي آذان صاغية.. في الحقيقة أريد أن أصارحك بشيء .. قد تستغربين من كلامي..

قلت لها: لا عليك.. ماذا عندك؟

سكتت برهة.. ثم قالت: أنا فتاة أحب شخصًا وأثق فيه.. وكل ليلة وبعد صلاة التراويح يحادثني بالهاتف.. كل ذلك والأهل في غفلة عني..

سألتها: كيف تعرفت عليه؟ قالت:

أعجب بي عندما رأى عيناي من خلال النقاب في السوق.. ألقى إلي رقم هاتفه.. أراد أن يرى وجهي.. ولكنني رفضت.. قويت العلاقة بيني وبينه.. أشعر بصدقه وإخلاصه.. لا أستطيع فراقه..

قلت لها: وهل أنت سعيدة بذلك؟

قالت: نعم؛ ولكنني أشعر بشيء من الضيق والحزن والخوف؛ لذا اتصلت عليك.

قلت لها: حسنًا.. أنا لن أوجه نصائح ولا إرشادات.. ولكن أطلب منك شيئًا واحداً؛ وهو أن تقرئي عليَّ سورة الفاتحة الآن..

قالت باستغراب.. سورة الفاتحة..

قلت: نعم.

قالت: الأمر سهل جدًا ..

قرأها : ليس هكذا.. اقرئيها بخشوع وتدبر.. استشعري بالآيات وأنت تقرئينها..

لم تفهم ما قلت؛ لكنها ابتدأت قائلة: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾

استمهلتها، قلت: تحمدين الله على ماذا؟

قالت: على الصحة والعافية والسعادة وعلى غيرها من النعم الكثيرة..

قلت لها : أمن يمن عليك بهذه النعم الكثيرة يستحق أن يبارز بالمعاصي وفي أرضه وبنعمه؟؟

سكتت و لم تتكلم..

قلت لها : أكملي السورة..

قالت : ﴿**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾.

قلت لها: تطلبين من ربك الرحمة... وتصفينه بأنه رحمن رحيم.. ومن رحمته أنه لم يهتك سترك و لم يفضح أمرك و لم ينزل

عليك عقاباً حتى الآن.

واستمرت في القراءة وأنا أسألها عن كل آية تقرؤها..

ثم قلت لها: اذهبي الآن وتوضئي واستحضري الوضوء ثم صلي لله ركعتين وتفكري بما تقرئين.. وتذكري أنك في شهر فضيل وفي أيام لها شأن.. واسألي الله أن يجعلك من عتقائه من النار.. ثم عودي وحادثيني..

أغلقتُ السماعة.. وتوجهت إلى ربي أدعو لها أن يفتح قلبها وأن يصلح بالها.. وينير بصيرتها.. وإذ بجرس الهاتف يرن.. رفعت السماعة.. وإذ بها تلك الفتاة .. سألتها عن حالها.. وبماذا تشعر.. قالت: أشعر بسعادة غريبة وراحة نفسية لم أحس بها من قبل.. أحس أن الله قذف في قلبي الكره والبغض لذلك الرجل الذي كنت أحبه.

قلت: الحمد لله الذي أرشدك للصواب وفتح بصيرتك للحق.. حسنًا يا أختي العزيزة.. هل تقبلين مني الآن نصيحتي؟ قالت.. بكل سرور.. هات ما عندك..

قلت لها: أخية! اعلمي أن هذا الرجل الذي كونت معه هذه العلاقة غير الشرعية ورضي لنفسه بذلك ما هو إلا رجل مخادع ماكر.. وإنه لا يريدك إلا للتسلية فقط.. فاحذري أيتها الغالية أن تذبحي نفسك بسكين المعاكسات فتهدمي بذلك مستقبلك وتهدري كرامتك وكرامة أهلك.. إن هذا الطريق (طريق المعاكسات) أو بالأصح طريق الشيطان.. منحدر.. ونهايته مرة.. وهلاك..

وخزي.. وعار..

أخية! حاسبي نفسك.. وتذكري أن الله يراك ويعلم بحالك وتفكري بالموت وسكرته.. تذكري القبر وظلمة الحساب وشدته.. والجنة ونعيمها.. والنار ولهيبها..

اشغلي وقتك بما ينفعك في دينك وآخرتك.. وإياك أن تعودي لتسالي وحيل الشيطان..

٩- أناشده العدل

لم أصدق الشائعات التي كانت تُثار حوله.. كنت أقول لهم: إنكم تريدون أن توقعوا بيني وبين زوجي.. إنها مكيدة.. تريدون أن تُنَغِّصوا عليَّ حياتي.. كنت أسكت ألسنتهم.. أرد عليهم: ما الذي ينقصني حتى يتزوج عليَّ؟ إنني طيبة معه.. متعلمة.. أم أولاده. لم أقصر في حقوقه.. ماذا يريد غير ذلك؟.. هواجس تنتابني أحيانًا.. أكاد أصدق ما يقال عنه.. ولكن سرعان ما تتلاشى تلك الظنون عندما أرى زوجي وحسن معاملته لي.. لم أبخل عليه بشيء لا يطيقه.. كنت أراعي مشاعره وظروفه.. أحيانًا كنت أضغط على نفسي وعلى أولادي في بعض الحاجات فلا أطلبها منه.. خاصة بعد شروعه في بناء بيته الجديد.. كان يثني علي ويشكرني على مواقفي معه..

بعد أن انتهى من تأثيثه لمنزله الجديد.. أخذت أتأهب للانتقال إليه.. لكنه أمهلني قليلاً بحجة أن البيت ينقصه أشياء كثيرة..

صدقته.. مكثت في بيتي القديم أنتظر.. وإذ بالشائعات حول زوجي تزداد.. زوجك تزوج عليك.. بل وأسكن زوجتـــه الأخـــرى في البيت الجديد.. لا تكوني ساذجة.. راقبي زوجك.. إلى غير ذلـــك من العبارات التي كانت تخنقني.. بدأت أشعر بكثرة غياب زوجي عن المنزل.. وكان يعتذر بأشغاله الكثيرة.. لم أهتم من باب الثقـــة فيه.

ذات يوم حصلت مشاجرة عنيفة بيني وبين زوجي.. خرج من المنزل.. جاء الليل وأقبل الصباح ولم يحضر إلى بيته أو حتى يتصـــل بالهاتف.. لقد تحسرت على موقفي تجاهه.. اشتد قلقـــي عليـــه.. قررت أن أعتذر له بمجرد دعوته إلى بيته وأبنائه..

سمعت جرس الهاتف يرن.. أسرعت إليه.. قد يكـــون هـــو.. رفعت السماعة.. إذ بصوت امرأة.. سألت: هذا بيت فلان؟

قلت لها : نعم..

قالت : هل أنت زوجته؟

قالت لها: نعم، من معي؟

قالت: هل يهمك أن تعرفي من أنا؟

قالت لها: بالطبع..

ردت : أنا زوجته الجديدة ..

لم أصدق كلامها.. صرخت في وجهها.. سببتها..

قالت لي: مهلاً.. مهلاً.. زوجك كان عندي طوال الأمـــس؛

لقد اشتكى لي من سوء معاملتك له.

قلت لها: أنت كاذبة.. أنت تريدين أن تـوقعي بـيني وبـين زوجي.

قالت: أفيقي من هذا الوهم الذي تعيشينه.. زوجك له ثلاثـة أشهر وهو متزوج.. إن لم تصدقيني فاسأليه فهو قادم إليك.. مـع السلامة..

عشت في دوامة.. بين الذهول والدهشة.. هل تكون محقـة؟.. هل ما سمعته صحيح أم أنها مكيدة؟.. ماذا أفعل؟.. هـل كنـت أعيش مخدوعة طيلة تلك الفترة؟ هل كلام الناس صحيح؟

أفقت من ذهولي على صوت أبنائي وهم يتصـارخون.. بابـا جاء.. بابا جاء..

هل أخبره بهذه المكالمة التي وصلتني قبل قليل؟ هـل أواجهـه بذلك؟ إنني في حيرة من أمري..

عندما رأيته لم يكن للإنهاك أثـر علـى وجهـه.. صـارحته بالموضوع.. كانت المفاجأة.. إن كل مـا وصـلني مـن أخبـار صحيحة.. وأنه متزوج من مدة.. أجهشت بالبكاء لا اعتراضًا على ما كتبه الله عليَّ.. ولكن لماذا يخدعني زوجي؟ ماذا رأى مني حـتى يفعل معي كل هذا؟ لماذا لم يصارحني بالأمر؟

لقد عشت كذبة كبيرة.. كنت أضحوكة الناس الذين حذروني منه كثيرًا.. ومما زاد آلامي وأحزاني أنه أسكنها في البيت الجديد..

وتركني في هذه الشقة المتهالكة..

تجرعت الآهات.. واستنزف قلبي الجراحات.. تذكرت ذلك الماضي عندما كنت أبخل على نفسي وعلى أبنائي بكل شيء.. كنت حريصة على إرضائه.. أيكون هذا جزائي؟.. سلمت أمري إلى الله..

ماذا أفعل وأنا أم لستة أبناء؟ هل أتوجه إلى بيت أهلي؟

آه.. وأي أهل؟ ليس لي سوى أخ سيطرت عليه عقلية زوجته المتعنتة.. هل يستقبل سبعة أشخاص؟ من أين سينفق عليهم؟ ليس لهم سوى بيت والدهم..

مكثت في منزلي كسيرة الخاطر أتجرع الآلام والغصص.. أرى الظلم بعيني ولا أستطيع دفعه.. لقد فضلها في أمور كثيرة.. إنه يفضلها على أبنائه.. إنني لا أطلب منه سوى أن يتقي الله فينا؛ إنني أناشده العدل.. نعم العدل.. والمساواة فيما بيننا..

وقفـــة :

أباح الإسلام تعدُّدَ الزوجات.. وأمر بالعدل بينهن والمساواة بحسن المعاملة في النفقة والمبيت وغيرها.. ويلزم الرجل المعدد أن يتقي الله في زوجاته.. وأن يحذر من الظلم.. ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً**﴾، وما أكثر النساء اللواتي يشكين ظلم أزواجهن لهن.. وسوء معاملتهم لهن.

فمن هذه حاله نذكره بقول الرسول ﷺ: «**من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقة مائل**». أخرجه الترمذي.

١٠- عبرة لمن يعتبر

يعاملها بقسوة.. يصرخ في وجهها.. بل يسبها ويشتمها.. أعطاه الله قوة الجسم لكنه صرفها في الظلم والاستبداد بالرأي وإن كان على خطأ.. كانت أمه العجوز كثيرًا ما تتوسل إليه أن يخفف من حدته وجفوته وطغيانه.. الكل من حوله نفر منه.. حتى زوجته تركته بلا عودة؛ بسبب قسوته وشدته..

كان يجعل أمه العجوز تخدمه وتقوم بشؤونه وهي من تحتاج إلى الرعاية والخدمة.. ما أكثر ما سال دمعها على خديها تدعو الله أن يصلح لها فلذة كبدها ويهدي قلبه.. كيف لا وهو وحيدها؟! كانت تبرز عقوقه لها بسبب تحمله المسؤولية منذ الصغر وبسبب وفاة أبيه.. ولعل الله يهديه؛ لكن الطغيان معه تجاوز حَدَّه وبلغ ذروته.. دخل عليها ذات يوم والشر يتطاير من عينيه.. صرخ في وجهها.. ألم تعدي الغذاء بعد؟

قامت العجوز بيدين ترتعشان وجسد واهن أثقلته السنون والأمراض والهموم.. لتعد الغذاء لقرة عينها..

رأى الطعام لم يعجبه.. ألقاه على الأرض.. أخذ يتبرم ويتسخط.. أعلم أنك لا تصلحين لشيء .. لقد بليت بعجوز

شمطاء.. لا أدري متى أتخلص منها..

تبكي الأم.. يا ولدي.. اتق الله .. ألا تخاف النار؟ ألا تخاف سخط الله وغضبه؟ ألا تعلم أن الله حرم العقوق؟ ألا تخشى أن أدعو الله عليك؟

استشاط غيظًا من كلماتها.. زاد جنونه.. أمسكها بتلابيب ثيابها.. رفعها إليه.. أخذ يهزها بقوة.. اسمعي.. أنا لا أريد نصائح.. لست أنا من يقال له: اتق الله.. يلقي بها بعيدًا.. تسقط الأم على وجهها.. يختلط بكاؤها بضحكاته الاستهتارية.. وهو يقول: ستدعو عليَّ! تظن أن الله سيستجيب لها.. يخرج من عندها وهو يستهزئ بها ويسخر من كمها.. لقد تحجر قلبه..

الأم تذرف الدموع الحارة.. تبكي ليالي وأيامًا كابدت فيها المشقة والعناء.. بكت شبابها الذي أفنته في تربية ابن عاق مكابر..

أما هو فقد ركب سيارته.. كان مبتهجًا سعيدًا وهو يسمع تلك الأغنية ويرفع صوت المسجل عاليًا.. لقد نسي ما فعله بأمه المسكينة التي خلفها.. وحيدة.. يعتصر الألم قلبها.. ويحترق فؤادها كمدًا وحزنًا على تصرفاته الطائشة.. تتمنى لو لم تكن أنجبته.. لم تدع عليه.. بل اكتفت بقولها: حسبي الله ونعم الوكيل.

كان لديه رحلة إلى منطقة مجاورة.. وأثناء سيره في الطريق بسرعة جنونية.. إذ بجمل يظهر له في وسط الطريق.. يضطرب سيره.. يفقد توازنه.. يحاول تدارك الموقف.. ولكن لا مفر من القدر.. دخلت قطعة حديد من السيارة في أحشائه.. لم يمت بل

أمهله الله وأصبح ينقل من عملية إلى أخرى.. أصبح بعدها طـــريح الفراش لم يستطع الحراك.. ولا حتى الكلام.. بقي هكذا ليكـــون عظة لكل من يعتبر..

١١- ضريبة السعادة الزائفة

الفرحة لا تسعني وأنا أسمع والدي يتحدث عنه.. إنـــه رجـــل ثري.. عاقل.. ستعيشين معه في سعادة ورفاهية.. سيحقق لك كل طلباتك.. ستجدين أمامك الخدم.. والقصر الفخـــم.. والأثـــاث الوثير.. و .. وسيحملك على كفوف الراحة.. زواجك سيكون في أفخر الفنادق.. وشهر العسل سيكون رحلة إلى الدول الأوربيـــة.. أنت أحسن أخوتك حظًا.. الكل يحسدك علـــى هـــذه الحيـــاة.. كثيرات يتمنين هذا العريس..

لم أسأل عن خلقه ودينه.. ألهتني تلك المغريـــات الـــتي كـــان يعرضها علي والدي.. كنت أعيش حلمًا جميلاً رائعًا .. أمان كثيرة كانت تراودني تلك اللحظات.. إذ بـــالحلم الجميـــل ينقلـــب إلى كابوس مخيف.. لقد استيقظت على حقيقة مرة مؤلمة.. أحسســـت بزيف تلك السعادة التي كنت أنشدها.. أشبه ما تكون بالســـراب الذي زال بمجرد اقترابي منه.. اكتشفت أن زوجي مـــدمن علـــى الخمر.. إنسان بلا أخلاق.. كان عصبي المـــزاج.. يثـــور لأتفـــه الأسباب.. كثيرًا ما كان يضربني.. ويسبُّني.. ويحقـــرني بمســـتوى أهلي المادي والاجتماعي.. يمن علي بالمساعدات المالية التي يقدمها

لوالدي.. كنت أخجل من تصرفات والدي الذي باعني بالرخيص لمثل هذا الإنسان.. لم يهتم سوى بمصالحه.. كانت سفريات زوجي للخارج كثيرًا ما تكدر صفو حياتي.. نصحته.. خوفته بالله.. هددته أن أترك له البيت.. لكنه كان يعرف موقف أهلي مني فلم يبال.. لم أنس كلمات أمي عندما بكيت أمامها بحرقة؛ لتردي حال زوجي فقالت لي: ليس للمرأة سوى بيت زوجها.. ماذا تريدين؟ لديك الخدم والحشم.. انظري لحال أخواتك التعيسات مع أزواجهن وهن في ضنك من العيش.. رمقتها بعينيَّ الحزينتين.. علمت أن الكلام مع أهلي لا ينفع.. رددت في نفسي: إنها ضريبة السعادة الزائفة التي كنت أحلم بها.. ولو أني جعلت قول الرسول ﷺ : «**إن جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه**». نصب عيني لما حصل كل هذا.. ولما كانت هذه النتيجة المرة القاسية..

فتأملت في حديث من كان يقول بألم وحرقة ونصيحة وتجربة بأن كثيرًا من الآباء يغريهم المنصب العالي والجاه والمال عن النظر إلى ما فيه صلاح بناهم.. وكذلك بعض الفتيات.. فإذا تقدم لهم الثراء والمركز قبلوا به دون أن يتحروا عن دينه وخلقه كما أمر الرسول ﷺ، وليعلموا أن مثل هذه الأمور الدنيوية الزائلة لا تجلب السعادة والهنا إذا عدم الدين؛ بل قد تكون وبالاً وحسرة؛ فيتعرض للضياع والفساد والفتنة .. وكم من المشكلات والحوادث حصلت نتيجة عدم التوفيق في اختيار الرجل الصالح..

انتهى حديث الناصح المشفق.. و لم تنته مأساتي بعد!!

١٢- البركة من الله

بعد عناء يوم دراسي مكلل بالتعب والإرهاق.. توجهت إلى البوابة.. وكالعادة أنتظر أحد أشقائي ليعود بي إلى المنزل.. في تلك اللحظات التفت حولي مجموعة من الصديقات وهن كحالتي؛ فهذه تنتظر زوجها والأخرى في انتظار السائق.. أخذتنا القصص والحكايات.. كل واحدة تسرد المواقف التي مرت بها في يومها ذاك.. وفي هذه الأثناء استأذنت إحدى الزميلات؛ فقد حضر زوجها.. تبعتها الأخرى لتذهب هي أيضًا؛ فقد استدعاها ولي أمرها عبر مكبر الصوت.. الثالثة تنظر إلى ساعتها.. عفوًا يا (...) فقد حان حضور أخي وهو بالتأكيد ينتظرني بالخارج.. ودعتها وتمنيت أن ألحق بها؛ فقد طال بي المقام على غير العادة...

أخذتُ أنظر حولي.. الزميلات تفرقن.. لم يبق أحد من صديقاتي عدا بعض الطالبات مثلي ينتظرن السيارة.. مرت عقارب الساعة ثقيلة.. عجبًا.. أين إخوتي.. هل نسوني؟ ما بالهم لم يحضر منهم أحد .. تجاوزت الساعة الواحدة ثم الثانية أخذ عدد الطالبات يتناقص.. تصل الساعة الثالثة عصرًا .. يا الله.. ماذا حدث؟

يا ترى ما الذي جرى؟ أكاد أجن.. لم يبق في الكلية أحد سواي.. سكون المكان زاد من مخاوفي.. جلست على مقربة من البوابة.. أسمع صوت السيارات وهي ذاهبة وآيبة.. أخذت الهواجس تنتابني من كل جانب..

جالت في مخيلتي عدة أسئلة.. ماذا حصل في المنزل؟.. هل

أصيب أحد بمكروه؟.. ماذا أفعل؟.. يقطع سكوني وتفكيري صوت سيارة تقف.. دب في قلبي بصيص أمل.. أسمع خطوات .. إنها أمي.. تأتي إلي.. تناديني باسمي.. أسرعت إليها.. لقد تملكها الخوف والهلع مثل ما تملكني.. لقد حضرت مع سائق أجرة بصحبة أحد إخواني الصغار.. سألتها وكلي خوف وشفقة وألم.. ماذا حصل؟ أين إخوتي؟ هل حدث شيء؟.. قالت بعد أن أخذت نفسًا عميقًا: يا ابنتي! الله يعوضني في إخوتك خيرًا. وفعلا البركة من الله.. لا أقول إلا حسبي الله ونعم الوكيل.. عرفت فيما بعد أن كل واحد منهم اعتمد على الآخر في إحضاري إلى البيت.. على الرغم أن كل واحد منهم يمتلك سيارة تخصه وليسوا مشغولين سوى بالتوافه.. فواحد منهم لا هم له إلا المباريات والجري وراء الكرة.. والآخر منشغل بالتفحيط مع زملائه.. والثالث وظيفته التسكع في الشوارع.. وهكذا حال إخوتي.. رددت في نفسي كلمة أمي.. حسبي الله ونعم الوكيل.. صدقت يا أماه.. البركة من الله.. البركة من الله..

١٣- البنات

صرخت في وجهي.. اخرجي.. لا أريد أن أراك.. هيا قومي عني لا بارك الله فيك.. أخذت تقذفني السباب والشتائم.. ليست هذه المرة الأولى.. بل اعتدت على هذا الأمر منها.. أتدرين ما سبب ذلك؟.. عيبنا الوحيد في نظرها أننا بنات..

نظرت إليها بدهشة واستغراب.. ماذا؟؟

استطردت كلامها.. أمي (سامحها الله) متحيزة دائمًا للذكور.. أتصدقين أنها كلما أنجبت بنتًا.. أخذت تبكي وكأنها تعترض على ما كتبه الله لها؟..

لا تقولي إنني حساسة أو أسيء الظن بها.. إنها الحقيقة المرة التي أعيشها.. إنها تقول: ليتكن خلقتن ذكورًا.. على الرغم أننا طيبات.. وخلوقات.. ومتفوقات.. دائمًا تردد: البنات عار.. فضيحة..

إخواني قد يرتكبون أخطاء فادحة فيكون موقفها منهم سلبيًا جدًا.. لا لوم ولا توجيه.. بل تدافع عنهم وتبرر موقفهم بحجة أنهم أولاد.. لا يعيبهم شئ.. كلامها القاسي لا توجهه إلا لنا نحن البنات.. بل إنها تدعو الله علينا بالموت حتى تستريح كما تقول..

كلما حاولتُ أن أتودد إليها.. تنفر مني.. تسبني.. وتضربني وتهينني.. وإذا لم أتكلم ومكثت صامتة تدعو الله عليَّ ولا سبب.. لا أدري ما هو ذنبي وذنب أخواتي.. أحيانًا إذا وجدت أمي هادئة وسألتها عن سبب قسوتها علينا: ألسنا بناتها كحال إخواننا؟ تثور وتصرخ في وجهي وتقول: أنت بنت مهما وصلت أو بلغت من المكانة والمنزلة..

إخوتي بسبب معاملتها هذه وقسوتها علينا ودلالها الزائد لهم أصبحوا يقسون علينا.. ويقسون عليها أيضًا.. أحيانًا يصرخون في وجهها وهي تتودد إليهم.. أخشى عليهم من الانحراف.. فهي

تعطيهم المال بلا حدود.. لقد أصبح بيتنا أشبه ما يكــون بحلبــة مصارعة بسبب تفرقة أمي.. ووالدي لا يحرك ســاكنًا ولا يهمــه الأمر.. أرى الظلم بعيني ولا أستطيع دفعه.. ومع هذا فأنا أحــب أمي وأحترمها وأدعو الله أن يهديها ويصلح حالها.. ذكرتها يومًــا بقول الرسول ﷺ: «**من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن أطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته كن له حجابًا من النار يوم القيامة**». فكان نصيبي صفعة على وجهي، وطردتني من مجلسها ذاك.. إنــني أدعو كل أم وأب أن يتقوا الله في أبنائهم وأن يعدلوا في معاملتــهم لهم.. ولا يفضلوا أحدًا على الآخر.. إن هذه المعاملة تسبب الحقد والبغضاء بين الإخوان وليعلموا أن أبنــاءهم أمانــة في أعنــاقهم سيسألون عنها يوم القيامة ذكورًا وإناثاً.

ولابد أن تزول النظرة الجاهلية التي ينظر بها بعض الناس للبنات وأنهن عبء ثقيل يتمنون أن ينزاح عن كاهلهم.. لقد جاء الإسلام وأزاله ونهى عنه.. فالإسلام رغب في تربية البنات والإحسان إليهن ورفع من مكانة المرأة وأعلى من قدرها.. قال بعــض الســلف: (البنات حسنات والبنون نعمة، و الحسنات مثاب عليهــا والــنعم مسؤول عنها) ونسمع مقولة بعض الناس بأن البنات شــر دائمًــا والأولاد خير وبركة.. وما أدراهم؟! فرُب جارية خير من غلام قد أُهْلِكَ أهله على يديه.

١٤- عندما يخدش الحياء

في إحدى التجمعات النسائية.. الحشمة هي السـمة السـائدة على لباس أغلب الحاضرات.. لكن .. لابد من شذوذ.. فإحداهن لبست فستانًا جل تفصيله فتحات تظهر أجزاء جسدها.. وبكـل وقاحة.. لم تستقر في مكان واحد.. لا حيـاء يمنعهـا ولا رادع يزجرها.. لم تردعها نظرات الجالسات المصوبة تجاهها.. كـلا .. ونعوذ بالله من المجاهرين.. (كل أمتي معافى إلا المجاهرين) .. الكـل استشاط غيظًا؛ أهكذا يخدش الحياء جهارًا نهارًا؟.. كـلا وربي لا يكون هذا.. ولكن أين أسنة الغيورين؟؟ أين من يقول الحـق ولا يخاف في الله لومة لائم؟ أين من يقول هذا حرام وذاك حلال؟؟

توجهت إحداهن إليها ناصحة لها على انفراد.. لكنها أخـذت ترفع صوتها وتصخب وتتضجر.. تبرر موقفها هذا بأنها بين نساء.. والأمر ليس فيه شئ.. وأن هذا تعقيد.. إلى آخر ما قالته.. تركتها تلك الناصحة..

هناك وفي زاوية المجلس الخلفية كانت امرأة كـبيرة تجلـس.. تعلوها سِيما الوقار والبشاشة.. كانت تراقب الموقف عن كثـب.. ومع تأزم الموقف.. قطب جبينها.. واحمرت وجنتاها.. فهنا يكمن الغضب لحرمات الله.. انفجرت بسيل من العبـارات والزواجـر القوية.. فليس الموقف موضع نصيحة أو تستر.. فتلك المجـاهرة لا ينفع معها ذلك.

أخذت توجه لها العتاب وتستعرض عليها كافة أبواب الدين..

حرامًا .. حياءًا.. عرفًا.. خلقًا.. احترامًا.. سيرةً.. ولم تدع لها شاردة ولا واردة إلا وذكرتها بها.. وتلك أخذت تنافح وتناضل وتبرر موقفها.. وأن ذلك ليس فيه بأس ولا حرج.. ولكن .. مع غلبه الحجة عليها بالبرهان والدليل.. تساندها نظرات الحاضرات التي تلسعها وتحرقها.. أذعنت وخرست وأتبعت هزيمتها بالانسحاب.. فأولياء الله أعاصير لا يقف في وجوههم أشباه تلك الخفافيش..

لقد استشعرت قول الله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾؛ فالدعوة إلى الله ليست حكرًا على فئة معينة من الناس.. بل من رأى منكم منكرًا فليغيره على قدر استطاعته كما قال الرسول ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**».

وعلى هذا فالمرأة المسلمة تستغل الفرصة لصالح الإسلام والمسلمين.. تتحين الفرص للدعوة إلى الله؛ لأنها تسعى لرضى خالقها ونيل الأجر والثواب من الله.. فهي جعلت نصب عينيها قول الرسول ﷺ: «**لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً أحب إليك من حمر النعم**». متفق عليه.

١٥- يا مقلب القلوب

انقطعت أخبارها فترة طويلة بعد زواجها.. آخر عهدنا بها أيام الجامعة.. وما أسرع الأيام! فقد مرت كلمح البصر.. كنت أتشوق لمعرفة أحوالها.. كم كنا نستفيد من نشاطاتها الدعوية.. ونستشيرها في بعض المسائل والأمور المستعصية.. كانت مثالاً للفتاة المسلمة.. تأثر بها وبنصحها وتوجيهها الكثيرات.. كانت نعم الداعية إلى الله.

كم كان يؤلمها أن ترى منكرًا ما أو تسمع غيبة.. فيتمعر وجهها .. فتبادر بالنصيحة والتوجيه.. كانت حريصة على الخير.

وفي إحدى المناسبات كان ذلك اللقاء الذي لا ميعاد له.. رأيتها في إحدى زواجات أقاربنا.. وليتني لم أرها.. حقيقة لم أعرفها في بادئ الأمر.. أيعقل أن تلك فلانة؟؟ لا أصدق ما أرى.. ماذا جرى لها؟؟ ما هذا التغير والتبدل لحالها؟.. أين التزامها؟.. أين دعوتها إلى الله؟.. لقد رأيت منها ما أبكى القلب وأدمى الفؤاد.. ومما زاد ألمي أنها عندما سارت بالقرب مني.. ناديتها.. فلانة.. فلانة.. التفتت.. نظرت إلي.. فما كان منها إلا أن أشاحت بوجهها عني.. ثم ذهبت وكأنها لا تعرفني أو لا تريد أن تتذكر تلك الأيام الرائعة التي قضيناها في طاعة الله.. أيام حرصنا على كل دقيقة فيما ينفع.. كانت الواحدة منا تعين أختها على الخير.. توجهها.. تنصحها..

حينها انتابني شعور غريب.. خوف رهيب.. أخذت أردد دعاء

النبي ﷺ: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**».

وقفـــــــة :

نسمع كثيرًا عن حوادث النكوص والانتكاسة التي تحدث مـــن كثير من الناس بعد أن لامس الإيمان شغاف قلـــوبهم.. وتـــذوقوا حلاوة الإيمان.. بل ويكونون من الآمرين بالمعروف والناهين عـــن المنكر.. وبعد ذلك ولسبب من الأسباب يتنكص ويعود إلى سالف عهده، والعياذ بالله.. يتبع هواه ويرضي الشيطان، ويسخط الرحمن.

وأسباب الانتكاسة كثيرة ومتعددة؛ فمنها عدم الإخلاص لله.. فيلتزم بالهداية ليس لله ولكن لحاجة في نفسه يقضيها فإذا انتهى منها نكص على عقبيه.. أو بسبب اتباع الهوى.. فيجعل نفسه الأمـــارة بالسوء هي التي تقوده فلا يجاهدها في رضى الله .. أو يكون بسبب الرفقة السيئة وهي أعظم أسباب الانتكاســـة.. فكمـــا أن الرفقـــة الصالحة من أعظم أسباب الثبات على دين الله كذلك الرفقة السيئة تؤثر على من تلتف حوله فيحاربهم وينساق معهم؛ كما قيـــل: (الصاحب ساحب). لذا فالنجاة من هذا الداء الخطير هو الالتجـــاء إلى الله بالدعاء أن يثبته على دينه وأن ييسر له طاعته؛ فقـــد كـــان الرسول ﷺ وهو صفوة الله في خلقه يكثر من قوله: «**يـــا مقلـــب القلوب ثبت قلبي على دينك**». فحري بنا نحن الـــذين أثقلتنـــا الذنوب والمعاصي أن نردد الدعاء ونكثر منه.....

١٦– عند الغروب

عند غروب شمس ذلك اليوم.. وكعادتها.. جلست على مقعدها القديم.. أخذت تسترسل في التفكير.. عيناها تذرفان الدموع وهي تنظر إلى البعيد.. هناك عند أبنائها.. تحرك شفتاها.. إنها تناديهم بأسمائهم.. كيف تنساهم؟.. إنه قلب الأمل الذي يفيض بالحب والحنان؛ لقد سهرت، كابدت وعانت المشقة لأجلهم.. ومن ثم فهم يقابلونها بالجحود والنكران.. أي قلوب تحملها صدورهم؟.. وأي مشاعر عرفتها نفوسهم؟..

تتذكر حالهم بعد موت أبيهم.. كانوا صبية صغارًا لا يملكون حولاً ولا قوة.. فأصبحت لهم الأب والأم وكل شيء.. لجأت إلى حياكة الملابس وبيعها حتى توفر لهم الطعام والكساء بعد أن تَنَكَّرَ لهم القريب والبعيد..

كانت تخاف عليهم من تقلبات الزمن .. حرصت أن يصلوا إلى مستويات عالية في التعليم.. بذلت لهم النصيحة والإرشاد.. حذرتهم من الرفقة السيئة.. كانت تبين لهم مغبة العقوق.. أرادت أن يكون أبناؤها دعاة إلى الله.. لكن : ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾..

بعد أن أستقر بهم الحال.. ونال واحد منهم بغيته.. وجاء وقت راحة هذه الأم العجوز بعد أن أثقلت بها السنون وتجمعت عليها الأمراض والهموم.. واحتاجت إلى الراحة حتى تعبد ربها بعيدًا عن مشاكل الحياة.. أرادت أن تجد ولدًا صالحًا يعينها على طاعة الله..

لكن كان العكس صحيحًا.. وجدت نفسها وبسبب زوجات السوء (زوجات أبنائها) في قارعة الطريق.. أخرجوها من مملكتها.. بيتها.. بعد أن تنازلت عن حقها فيه.. أرادوا بيع البيت واقتسام ثمنه.. أما هي فقد آل بها الحال إلى دار العجزة والمسنين.. فهي تقبع فيه كسيرة الخاطر.. تبكي حاله وتشكو مصابها إلى خالقها..

وهكذا مع غروب شمس كل يوم.. تتذكر مأساتها هذه.. تجلس على مقعدها لتسترسل في الأفكار والهواجس.. لتجدد بذلك رحلة المعاناة والآلام والأحزان فتختمها بالدموع.

١٧- العودة

كانت مرحة بطبعها.. طيبة القلب.. وإن كان عليها بعض المخالفات الشرعية.. فهي متأثرة جدًا بالبيئة التي تعيشها.. أقاربها من حولها كثيرون.. دائمًا يجتمعون في إحدى الاستراحات أو المزارع.. خاصة في المناسبات.. ضياع وقت.. كلام لا نفع منه.. بل غيبة ومزاح ساخر لهو ولعب.. تهاون بالحجاب إلى غير ذلك من المنكرات المتفشية بينهم.. كانت هذه الفتاة تميل أحيانًا إلى الالتزام.. ثم تلبث أن تعود إلى سالف عهدها..

ذات يوم وعندما كانت إحدى المعلمات في المدرسة تلقي محاضرة عن الموت وسوء الخاتمة.. اقشعر جلد هذه الفتاة.. وخشع قلبها فانقشعت الغمة.. واستعرضت شريط حياتها.. تذكرت تلك الأيام التي ضيعتها هباءً وهدرًا.. آه.. كم من اللحظات مرت دون أن أنتفع منها لآخرتي.. بل معاصٍ ومنكرات .. أه يا نفسي.. كم أغراني الشيطان وأغرى الكثيرين معي.. أخذت تعاتب نفسها.. تلومها.. توبخها.. حينها أعلنت قوية مدوية.. يكفي يا نفس ما ضاع من العمر.. إذا لم أغتنم شبابي قبل هرمي فمتى الجد والعمل؟ ..

بدأت بنفسها.. أزاحت عن كاهلها ثقل المعاصي.. توجهت وبصدق إلى خالقها تعلن توبتها وندمها على ما فات.. لازمت رفقة طيبة كن لها نعم العون بعد الله.. بدأت في جمع شتات نفسها المبعثرة في أدوية الدنيا.. أصبح لنا نشاط دعوي ملموس بين

زميلاتها.. بل وعلى نطاق واسع.. المنزل.. الأهـل.. الأشـقاء.. الأقارب.. إنهم في أمس الحاجة إلى.. إنهم في غفلة كما كنـت.. إنهم بحاجة إلى من يوقظهم من سباتهم العميق وينفض عنهم غبـار الغفلة والبعد عن الله..

كانت البداية مع أخواتها.. كانت ودودة مع والديها.. مما جعل لها مكانة في نفسيهما.. زاد ودها وحنانها لهما بعـد تمسـكها.. فأمامها مهمة دعوتها.. وهما أساس البيت.. بدأت ترشد وتنصح.. توجه وتحذر.. عانت في البداية من استهزاء وسخرية البعض.. بـل إنهم اعتزلوها.. كانت تلاطفهم.. تدعوهم بالحسـنى.. أخـذت تهديهم الكتاب الإسلامي والشريط النافع.. وفوق هذا وذاك كانت نعم القدوة بسلوكها وجميل معشرها.. لم تيأس.. لم تبال.. تردد في نفسها: الرسول ﷺ عانى و قاسى أكثر من ذلك.. دعا قومـه.. لم يكل و لم يمل.. يفتح الله على قلب بعض أفراد أسرتها فكانوا يـدًا معها للدعوة إلى الله.. أما أقاربها فقد سرت دعوتها بينهم بعد فترة من الزمن.. تأثرت بيوت كثيرة بفضل الله ثم بنصحها وتوجيهها..

والآن مازالت تلك الاجتماعات المعهودة بين أقاربها.. ولكـن أصبحت جلساتهم توجيهية.. ووعظية.. حلق ذكر.. مسـابقات نافعة.. تعدها مجموعة من الفتيات وعلى رأسـهم تلـك الفتـاة الناصحة.. حقًا؛ إنه العمل الطيب المثمر والتجارة الرابحـة وربـح البيع.. ربح البيع..

وقفـــــــة :

أعظم دعوة يقوم بها المسلم هي دعوة نفسه.. فيلزمها طاعـــة ربها ويجنبها المعاصي والمنكرات.. ويجاهد نفسه حتى يكون لدعوته لغيره أثر في النفوس بإذن الله.. ثم يدعو أقرب الناس إليه من والدة ووالد وأخ وأخت ونحوه.. ويلتزم في دعوته الحكمـــة والموعظـــة الحسنة والنصيحة بما يوافق الكتاب والسنة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ينبغي أن يكون الداعي حليمًا صبورًا على الأذى؛ فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثـــر مما يصلح. اهـــ.

١٨- ثبات صبية

زهرة يانعة.. برعم نضر.. كانت في الثالثة عشرة من عمرها.. رأيتها وهي تقف في زاوية من زوايا المحل.. وأمها تأخذ وتعطي مع البائع.. إنها في السوق.. كان لبسها للحجاب كاملاً وتحرزها مـــن ظهور شيء منها يلفت الانتباه.. مما دفعني لمراقبتها.. وإطالة النظـــر إليها.. على خلاف أمها التي كانت متهاونة في حجابهـــا.. وقـــد أبدت الواسع والذي كشف عن عينين مزينتين بالكحل..

شعرت أن الفتاة قلقة.. مضطربة.. وكأنها على جمر.. تريـــد الانصراف بأي وسيلة.. وأمها على حالها ذاك تقلـــب الملابـــس.. فتأخذ هذا وتضع ذاك.. ثم وجهت نظرها لابنتها.. هـــل تريـــد شيئًا؟؟

هزت الفتاة رأسها بالرفض.. صرخت الأم في وجهها.. حتى الكرم لا تريدين أن تتكلمي.. حدقت النظر فيها: ألم أقل لك أن تخلعي هذا الغطاء عن وجهك؟ .. لماذا تعاندين؟.. أنت معقدة.. لماذا لا تسمعين الكلام؟

أجابت الفتاة بصوت منخفض.. أمي! هذا لا يجوز.. المرأة المسلمة لا تكشف وجهها.. أرجوك يا أمي اخفضي صوتك قليلاً.. هناك رجال أجانب..

عندما رفعت الأم صوتها عنادًا لابنتها.. أنت لا تريدين منظرك وشكلك المضحك.. لقد سببت لي الإحراج.. أن أعرف كيف أربيك.. تصمت الفتاة الصغيرة.. حاولت التدخل لكن الأم تخرج من المحل وتتبعها ابنتها..

لقد تعجبت من عقلية هذه الأم وثبات هذه الفتاة.. تساءلت حينها.. أيعتبر تمسكها بدينها وإن كانت صغيرة تعقيدًا وتشددًا؟.. أيعتبر خوفها من الله وهي في هذه السن المبكرة أسلوبًا مرفوضًا يحتاج إلى تربية وأدب؟.. ليت جميع فتياتنا مثل هذه الفتاة.. تمنيت أن تكون هذه الفتاة ابنتي أو أختي.. لا أملك سوى الدعاء لها بالثبات على دينها وأن يحفظها الله من كل سوء ومكروه.. وأن يهدي لها والدها.

وقفة :

الأبناء نعمة عظيمة يمن الله بها على الوالدين.. ومسؤولية تربيتهم مسؤولية كبيرة.. فلزم الحرص على تنشئتهم النشأة القويمة

على النهج الرباني.. ولزم أن يُرَبَّوا على الكتاب والسنة.. وعلى حب الله ورسوله.. وأن يتطبعوا على حميد السجايا وكريم الشمائل.. وأن يؤمن مستقبلهم للآخرة حتى تظهر ثمرة هذه التربية الصالحة.. « **إذا مات ابن ادم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له...**»

فالولد أمانة عند والديه وقلبه الغضُّ الطاهر جوهرة نفيسة خالية من أي نقش وصورة.. وهو قابل لكل ما ينقش عليه ومائل إلى كل ما يمال به.. فإن عُوِّد الخير وتعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة.

إنما الأطفال نبت ... يشبه الغصن طريًا
حين ترعاهم ستجني ... ثمرًا حلوًا شهيًا
كُنْ لهم خير صديق ... مخلص القلب وفيا
يرفعوا ذكرًا سيبقى ... ساطعًا مثل الثريَّا

١٩- هدية وموقف

كانت فرحتي غامرة.. حمدت الله أن وفقني للزوج الصالح.. إنها ليلة العمر.. استقبلت التهاني والدعاء من كثير من القريبات والزميلات.. وكانت الهدايا المقدمة كثيرة ومتنوعة.. شدني من بينها هدية مغلفة بطريقة عجيبة.. حرصت على فتحها قبل كل الهدايا.. إنها من أعز صديقاتي.

لن أنسى وصاياها لي.. كانت تحثني على مراقبة الله وتقواه وأن لا تشغلني هذه الحياة الجديدة عن الله.. لن أنســى قولهــا لي: إن زوجك هو جنتك ونارك فعليك بطاعته وإرضائه في طاعــة الله.. كانت تقول لي: احرصي على سعادته، كوني هينــة لينــة ودودة معه.. غُضي الطرف عن زلاته وهفواته.. لا يسمع منك ما يكدر صفوه وينغص عيشه.. كانت لي نعم الأخت المخلصة الناصحة.

فتحت هديتها بشغف.. إنها عبارة عن ساعة منبــه مكتــوب عليها: هذه تنبهك لصلاة الفجر.. ومرفقة بكتب إسلامية، ومــع هذه الكتب لوحة صغيرة مكتوب عليها بخط جميل رائع: (احفظ الله يحفظك) وضعت هذه اللوحة على رف أمامي في غرفتي.. هدية بسيطة لكنها ذات قيمة ومعنى..

دارت رحى الأيام.. ومرت الساعات وأنا بفضل مــن الله في خير.. وذات يوم حصل بيني وبين زوجي خلاف ومشادة كلامية.. خرج على إثرها غاضبًا..

توجهت إلى غرفتي وقد أصابني الهم وجثم على قلــبي الحــزن والغم.. جلست على سريري أفكر في موقف اليوم.. قــد أكــون مخطئة برفع صوتي عليه.. ولكنه تجاوز حده معي.. يا الله.. مــاذا أفعل؟.. أشعر بضيق.. بضجر.. هل أتصل على أمــي؟.. لا.. لا أريد أن أدخل في مشاكلي الخاصة.. ارحمني يا رب..

وفي أثناء ذلك.. إذ بتلك اللوحة أمامي: (احفظ الله يحفظــك) ذكرتني هذه الكلمات بأمر ما.. ما من مصيبة تصيب العبد إلا بمــا

كسبت يداه.. قد أكون قصرت في أمر من أمور ديني.. توجهت إلى ربي مقبلة بالصلاة والدعاء.. وأن يغفر لي ما بدر مني.. شعرت براحة نفسية.. زال ذلك الغم عن قلبي.. عاد زوجي.. استقبلته ببشاشة وجه.. واعتذرت إليه.. وعادت الأمور إلى ما كانت عليه وأحسن.. والحمد لله أولاً وآخرًا..

٢٠- حمد وثناء

قرع الجرس معلنًا انتهاء الحصة.. وفي هذه الأثناء كنت أسمع آهات وزفرات وأنات تشبه أنين المريض المتأوه.. إنه صادر من صديقتي التي بجواري.. أقلقني حالها وعلامات الحزن والآلام تبدو على محياها.. التفتُّ إليها: سألتها: ما الأمر يا (...) هل حدث شيء؟ خير إن شاء الله..

ردت.. لا شيء.. (حاولت إخفاء الحزن الذي يبدو على قسمات وجهها) ..

قلت لها: أنا صديقتك.. وأشعر أن هناك شيئاً يقلقك.. إذا لم أقف معك في وقت الضيق فما فائدة هذه الأخوة؟؟

سقطت دمعة من عينيها.. تمتمت: الحمد لله على كل حال..

ما كل ما يتمنى المرء يدركه
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

أنت تعلمين يا صديقتي وضعي البائس الذي أعيشه.. فأنا

وحيدة بين إخوتي من أبي مع أمي.. ولم يبق لي سوى أبي الـــذي انشغل بزوجته وأبنائه.. ونسيني.. إنه لا يعلم عني شيئًا.. يفضلهم عليَّ ويحبهم أكثر مني.. إذا طلبوا منه شيئًا لبى لهم طلباتهم أما أنـــا فلا يهمه أمري.. أصبحت أعيش في عزلة.. أحـــس بالضـــيق.. لا أحد يفهمني في هذه الحياة.. آه يا قلبي المسكين..

ابتسمت لها.. قلت: ألهذا السبب أنت حزينة؟؟ أنا لا أستخف بأمرك.. ولكنني عرفتك قوية.. صبورة ..تحســـنين الظـــن بمـــن حولك.. لا تجعلي للشيطان طريقا إلى نفسك الطيبة.. انظـــري إلى الحياة بتفاؤل.. ولا تنظري إلى المـــرفهين المـــنعمين.. انظـــري إلى البائسين وما أكثرهم حولنا.. أنت في نعمة وسعادة بالنسبة لهـــم.. فإليك فلانة.. إنها تحمل سجلا مليئا بالمعاناة والمآسي.. انظري إليها وادعي الله لها أن يكشف كربها ويزيل ضرها ويرحم حالها.. فمنذ أن كانت في السابعة من عمرها لم تع ما حولها.. شـــيء واحـــد عرفته؛ أنها تعيش بلا أم.. فقد ماتت أمها وتركـــت لهـــا أربعـــة أخوات.. تحملت في ذلك السن عـــبء المســـؤولية.. ولـــك أن تتخيلي.. طفلة في السابعة تقوم بالحضانة والتربية لشقيقتها الصغرى ذات الخمسة أشهر.. كان أبوها مشغولاً بطلب الرزق.. وبســـبب هذه الحالة اضطر الوالد إلى ترك عمله وجلس مع بنياته الصغيرات ليرعاهن.. ومع مرور الأيام أخذ الأب يفكر: من أين يـــأتي لهـــن بلقمة العيش؟.. من أين سيصرف على بناته؟؟

تلك الطفلة الصغيرة كانت ترى أباها وهو يبكي ويمسح دمعاته يفكر في وسيلة وحل للمأزق الذي يمر به.. إنها دموع الألم والمرارة

وهو يرى بنياته الصغيرات وهن بحاجة إلى رعاية واهتمام.. لم يدم الوضع طويلاً فقد وجد حلاً وإن كان مراً قاسيًا لكنه أنسب من وضعهن الحالي.. تفرقت الأسرة وانقسمت البنات إلى مجموعتين.. إحداهما ذهبت إلى زوجة أخيه الأكبر.. والمجموعة الثانية ذهبت إلى بيت أخيه الأصغر.. وكان من ضمن أولئك تلك الفتاة؛ لأنها أيضًا تحتاج إلى تربية ورعاية.. كان الأب يصرف عليهن وهن في بيوت أعمامهن..

تحسنت ظروف الأب.. تزوج والتمَّ شمل العائلة من جديد.. لكن الفتيات لقين الكثير من القسوة والإهانة من زوجة أبيهن.. فاضطر الوالد تفاديًا للمشاكل أن يزوج ابنته هذه بعد أن بلغت الرابعة عشر من عمرها زوجها شيخاً كبيرًا.. أتصدقين أن هذه الفتاة تعد من أحفاده.. حاولت أن تتلاءم مع هذه الحياة الجديدة المريرة لكنها لم توفق معه.. فعادت إلى منزل أبيها مطلقة وهي في عز شبابها؛ بل في عز صباها..

تفرغت للعلم.. انكبت على القراءة؛ لعلها تعوض ما فات من عمرها دون تعليم.. تريد أن تنسى آلامها.. أيام الشقاء التي عاشتها.. مرت الأيام وهي تنهل من معين العلم والمعرفة.. كانت متفوقة في دراستها.. ويقدر الله لها أن تصاب بمرض غريب عجز الأطباء عن معرفة سببه أو علاجه.. مرض أخل بعقلها وشل أطرافها وأثقل لسانها.. لو رأيتها وهي في ذلك الحال لبكيت حزنًا عليها.. أصبحت طريحة الفراش.. مثقلة بالهموم والأحزان.. ووالله إن منظرها ليدمي القلب.. فمن يراها لا يصدق أن هذه فلانة

صاحبة العقل والجمال والذكاء..

فاحمدي الله على ما أنت عليه.. اصبري على مصابك فإن هناك أناسًا أشد منك ومع ذلك هم صابرون محتسبون..

وما أن انتهيت من كلامي حتى رفعت رأسها إليَّ قائلة: صدقت.. والله إننا في نعمة عظيمة.. جزاك الله خيرًا على نصيحتك هذه؛ لقد امتلأ قلبي بالأمل والتفاؤل والبشر.. حقًا إن نعم الله علينا كثيرة فيلزمنا أن نعطيها حقها من الشكر والثناء لله سبحانه وتعالى.

قال رسول الله ﷺ : «**انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**». متفق عليه.



الفهـــــــــرس

